فلسفة مريض نفسي - 03 -

–عُقدَة–

إدجرفور العباس

إهداء الراوي :

آسف لأنني نعتُّ قصتي بالرواية في الاهداء السابق ، لهذا أهدي هذه الجزء للجزء الماضي لعله يقبل اعتذاري.

إهداء المؤلف :

تركته يسبقني بالإهداء هذه المرة لغاية في نفسي وليس جُبنًا كما تظنون.

أهدي هذه الرواية لعُقدَة في خيط لم أستطع فكها فأحرقتها بالولاعة.. آسف لأنني لم أستعمل أسناني.

مقدمة المؤلف :

لا تنسوا المقدمات السابقة فهي كلها سارية المفعول في كل الكُتَيبات، وأيضا لا تترك هذا الكُتيّب يلهيك عن أي شيء عليك فعله.

مقدمة الراوي :

هل تذكر الخيط المعقود الذي كان يعطيك إياه والدك أو والدتك كي تفك عقدته؟.

هل تذكر آخر مرة فككت فيها عقدة أرّقت كاهلك؟.

هل تظن أنني سأعلمك حل العقد في هذا الكتاب أو نظرية العقد في الرياضيات ؟.

-لا، لا دخل للخيوط أو الحبال هنا.. هنا حيث تنعقد أعضاءك وأفكارك.. هنا حيث ما تكمل حلّ عقدة حتى تظهر أخرى.. هنا حيث تتمنى نهاية العُقد..

هنا حيث لا تكفي الأيادي كلها لحل عقدة واحدة.

ماذا حصل مع الضابط خالد؟ [1]

يا خالد هناك رجال يريدونك على الباب ، هذه الجملة قالتها لي العجوز عندما كنت جالسا مع ابنتي كريمة.. أنا متأكد أني لم أخبر أحدا بمكان سفري. من يكون هؤلاء ؟ وكيف علموا؟ استعدت رباطة جأشي وقبّلت ابنتي ثم اتجهت نحو الباب لأجد شابا وفتاة. لا أدري كيف قالت لي العجوز أنهم رجال!! هنا تحدث الشاب وكان صوته غليظا يتردد كالصدى – الآن علمت السبب - :" نريدك بضع دقائق، هلا أغلقت الباب".. عيناه سوداوان كظلام حالك، أول مرة أرتعد من شخص ، هذا الشاب ليس إنسانا أبداً.. سحبت مقبض الباب بأطراف أصابعي ثم تمثلت الشجاعة وقلت بصوت بارد :

-أولا أخبراني كيف علمتما أنني هنا.

-لا يهم هذا بقدر ما سنطلبه منك.. العباس يحتاج مساعدتك.

- أظنه قد أنهى أمرهم الآن، لا داعي للقلق.

-لا. لا.. هناك ما هو أعظم، العصابة مدعومة من أمريكا وهو قد اخترق نظامهم وسيجدونه عاجلا أم آجلا.

-وماذا علي فعله أنا؟

- ستنتظر هنا شهرا ونصف.

[1] راجع الصفحات الأخيرة من الكتَيّب الأول

-يستحيل هذا ؛ لدي أعمال كثيرة في مصر.

-أنصت إلي، العباس سيحتاجك..

-هل أنت تعلم الغيب أم ماذا ؟ اتركني وشأني.

دخلت وأغلقت الباب على وجههما.. ما هذا الشباب الطائش!! شاب يملي علي ما أفعله !!.

- في الخارج نظرت الفتاة إلى الشاب ولسان حالها يقول :" ألم أخبرك !".

***

... الرعب ، ربما هذه كلمة مناسبة لهذا الموقف.. أكثر من خمسة عشر وحشا اجتمعوا هنا، ماذا يريدون؟ وكيف قتلوا خمسة عشر شخصا آخر ؟ أنا متأكد أني قمت بحذف المنشور بل والفيس بوك أيضاً.. قاطع أفكاري صوت أحدهم، مصاص الدماء الذي حكيت لكم عنه يقول لي بنبرة الواثق :" قتلنا أربعة عشر ضحية أخرى لڤولدن آخر وهذا يجعلنا على شفا تحقيق هدفنا".. الضوء الأحمر من عينيه يشتعل تارة وينخفض أخرى.. خمسة عشر وحشا مجتمعون هنا!! أردت اخراج نصلي الفضي لأستغل الفرصة لكنهم اختفوا في لمح البصر كأن لم يكونوا هنا.. استرخت عضلاتي لكن الجو من حولي كان مشحونا، عندما أدركت الموجودات علمت أن العملاء أكثرهم بللت دموعهم خدودهم، مات أحمد، مات رفيقي وأخي، هل سأكمل الطريق بمفردي؟.. التفت نحو أخي الواقف قربي وعلامات الغضب والحزن بادية عليه فقلت له

:" أرسلني اليوم إلى مصر كي أكمل التحري، أريد الانتقام لصديقي"، هز رأسه بمعنى الموافقة وأنا بدوري خرجت مستجمعا عزمي، لابد أن تنتهي هذه المهزلة..

انطلقت لمصر مع عميل آخر أراه أول مرة وأعرفه مسبقا من المجموعة الفيسبوكية اسمه الكامل (مسعودي زين العابدين) ويلقبونه ب (زينو) ينحدر من عين صالح وهذا أول لقاء لي به، ليس مملا أبدا.. حكى لي عن حياته وسأعيد الحكاية لكم لأنها مهمة حقا.

((أنا – زينو – ذو الثلاثين ربيعا أسكن في عين صالح ولدت في عائلة ثرية نسبيا واستدعتني المخابرات في سن العشرين لموهبتي في لعب الشطرنج – أطول مباراة لعبتها مدتها ثلاث دقائق ولم أخسر في حياتي - ظنوا أني سأكون ذا نفع في وضع الخطط وقد حصل هذا بالفعل.. أكثر عملي يكون خلف الكواليس ولكن هذه المرة سأخرج للعلن، نحن ذاهبون إلى مصر وقد وضعت خطة تسهل وتسرع عملنا، أما الآن فسنمضي الوقت في الحديث.. ذات يوم كنت في إجازة وأتجول بسيارتي السوداء في شوارع عين صالح حتى رأيت العباس متجها غربا نحو المحطة وثم تعرض له رجل حمله نحو بيته، كنت أعلم أن له عمًّا هنا وأن العصابة تطارده لهذا كلفت نفسي بمراقبته، وفي نفس الوقت التقيت بصديقي يحيى وقد كان يتبع العباس ولم أجعله يلاحظ وجودي ، حملته إلى بيتي وأخبرني عن رغبته في السفر إلى آولف للالتقاء بصديق، علمت أنه يقصد العباس ولكني لم أشأ مصارحته.. عندما حل الصباح سمعت صراخ الأطفال في الشارع فخرجت لألقي نظرة، وجدت

المدرسة قد أعلنت يوما بدون دراسة وبعض الأولياء حضروا ليستفسروا عن السبب ولكن الطاقم واجههم بالتهدئة ولم يجيبوا على أسئلتهم، القلق بادٍ على وجوههم ولا أحد ينكر هذا.. ذهبت لمدير المدرسة وأخرجت بطاقة الشرطي التي نستعملها دائما في مواقف مثل هذه فأخبرني بوجود قنبلة وقد اتصلوا بفرقة تفكيك القنابل وسيصلون بعد لحظات.. غادرت المكان عائدا إلى منزلي لأجد يحيى استيقظ للتو.. سألني عن سبب الضجيج فأخبرته بكل شيء، بدا عليه الخوف واستغرب من هدوئي، العباس هنا في عين صالح وسيهتم بكل شيء، أنا أثق به.. حصل في ذالك اليوم ما تعرفونه كلكم، فُكِّكت القنبلتان والعباس عاد إلى بيت عمه ثم ذهب إلى المحطة في اليوم التالي؛ ارتديت ملابس سوداء وتبعته بسيارتي مع يحيى وعميلان متخفيان، لأجد رجلا يصوب مسدسا في ظهره، يصعب رؤية الموقف الذي فيه العباس الآن لذالك لم ينتبه الناس لهما.. أخرجت مسدسي ووضعت له كاتما للصوت وتصرفت بصفتي عميلا في مهمة سرية..))

الآن علمت صاحب السيارة السوداء الذي أنقذني في عين صالح هاهاها شكرته على هذه المعلومة ثم في آخر الحديث تذكرت شيئا مهما. من يكون يحيى هذا؟ وما هي معلوماته على الفيس بوك؟ أجابني زينو أن اسم حسابه yahya Taouza.. وشيء آخر يثير الحيرة! لماذا لم يمت زينو بما أن يحيى صديقه على الفيس بوك ولابد أنه رأى تعليقه ذاك!! أم أنه لم يرى المنشور؟ أعطاني الاجابة دون أن أسأله فقال :" اعتزلت الفيسبوك منذ أسبوعين طلبا للراحة النفسية"، كأنه يقرأ أفكاري! لا.. إنه يتصرف ويفكر كأنه في مباراة شطرنج، سأكون حذرا كي لا يعرف عني شيئا.

***

سيرة يحيى : - ج 01 -

شاب متوسط البنية أبيض البشرة بني العينين. لن أصف لكم أكثر من ذالك، المهم أن تشكلوا صورة رمزية في عقولكم هل نبدأ؟ حسنا.

قضيت طفولتي كلها في مدينة وهران قرب عائلتي، طفولة عادية لو سألتم عنها، شيء وحيد مميز فيها هو أني كنت الأول على دفعتي لمدة تسع سنوات وبمعدل يقارب العلامة الكاملة.. لم أمر بشيء مستعصي الا وأتى الفرج سريعا - الا شيئا واحداً - . كنت الأحب إلى قلب أبوي، وبدوري لم أكن عاقًّا لهما.. دعونا من هذا ولنعد لحياتي الدراسية؛ عند نجاحي في الباكالوريا أرسلوني لجامعة ولاية عنابة ، يعني سأسافر من الحدود المغربية إلى الحدود التونسية هههه سفر طويل جدا ولكن لم أعد ذالك الطفل المدلل وعلي السفر بمفردي.. مرَّت الأعوام واعتدت على الولاية الجديدة – عنابة – وخلال هذه الأعوام كلها لم أعد إلى وهران وكان أهلي يسألونني عبر الهاتف عن سبب طول غيابي وكنت أتحجج بضغط الدراسة والعمل، والحقيقة غير ذالك.. الحقيقة أني لست أحضر للدروس أصلا، أكتفي بأيام الاختبارات ومن نظرة واحدة في الدروس أحفظها وأفهمها بسرعة البرق، هذه موهبة ولدت بها فلا تستغربوا.. أما الأيام التي أغيبها أقضي نصفها في العمل المتنقل والنصف الآخر في السفر عبر ولايات الوطن؛ ليس للمتعة والسياحة طبعا وإنما للبحث عن حل للغزي.. أبحث في المعالم الأثرية وفي المغارات وفي جحر كل ضب؛ لا

داعي لأن تعرفوا عن ماذا لأني أجيد إخفاء الأسرار ولا أقول ما لا أريد قوله.. لا تغضبوا علي، ستعلمون في ما بعد.

قبل عام كنت في رحلة استكشافية مع شخصين، الأول اسمه زكريا والثاني اسمه أحمد، أجد صعوبة في تذكر اسم هذا الأخير بحكم أنه صديق صديقي زكريا لا غير، تعرفت على هذا الأخير من خلال الفيس بوك وتوطدت علاقتنا إلى أن صارحني برغبته في زيارة مدينة سيفار في ولاية إليزي فاتفقنا على زمان ومكان الانطلاق وحزمنا الأمتعة اللازمة وتوكلنا على الله... في اليوم الموالي وصلنا لإيليزي وعضلاتنا تشتكي ألما من طول السفر وصلابة كراسي الحافلة.. لا علينا.. إستقلينا تاكسي ليوصلنا إلى مدينة سيفار.. رسوم منحوتة على الصخر ودُورٌ مهجورة ورمال ذهبية، أتيت إلى هنا ليس بغرض الاستكشاف كما أخبرتكم لكن بغرض البحث، البحث عن شيء أشك أنه موجود وسط كل هذا الغموض.. بين الحين والآخر كنت أتركهما مع المرشد السياحي وأتوه عمدا بين الصخور لعلي أجد أثراً ما لكن دون جدوى.. يحل الليل فنجلس سويا نشرب الشاي ونأكل اللحم المطبوخ تحت التراب ونتبادل أطراف الحديث، للمرشد الذي استأجرناه قصص مثيرة عن وحوش تظهر ليلا هنا وأشياء غريبة تحدث بين الفينة والأخرى.. حكاية وراء حكاية حتى يقترب منتصف الليل فنخلد للنوم.. بقيت يومين على هذا الروتين إلى أن أتى صباح اليوم الثالث - كنا قد قررنا قضاء يومين فقط - نظرت لملامح زكريا فوجدته شارد الذهن زائغ العينين كأنه لم ينم الليلة الماضية، سألته عن حاله الحقيقي فأجاب أنه بخير، ارتبت لأمره فمنذ مغادرته من الخيمة ليلة أمس تغير وجهه. كتمت الأمر في نفسي وغادرنا البلد عائدين لولايتنا.

بعد شهر من هذه الرحلة سافرت عائدا لولايتي لكني عزمت على التوقف عند زكريا لأطمئن على حاله ، حجزت تذكرة حافلة نحو العاصمة وبعد سويعات وصلت لهدفي.. صديقي يعمل ميكانيكي سيارات وسأتصل به ليرشدني الى مكان عمله، وهذا ما حصل.. بعد أن التقينا أخذني إلى بيته في الطابق الثاني وأخبرني أنه قد طلب يد فتاة والعرس بعد أشهر.. باركت له وسعدت لهذا الخبر، لكن شيئا ما حدث حُفر في ذاكرتي، وهو عندما دخل وقت الصلاة لم يصل معي، حينها أدركت أنه تغير كثيرا.. وأيضاً دخلت لغرفته خلسة فوجدت آثار ساحر كان يقوم بعمله هنا، كتب ذات أوراق صفراء مرمية هنا وهناك ورائحة كبريت تعم المكان، خرجت مسرعا خوفا من أن يكشف أمري.. توصلت إلى نتيجة، صديقي زكريا أصبح ساحرا وعلي نسيان أمره.. بسبب تلك الصدمة لم أكمل الطريق الى وهران وإنما عدت لعنابة كي أستعد لسفر آخر.

***

مصر وأهل مصر ولهجة أهل مصر كلها أشياء تبعث في النفس الراحة.. طابع خاص يضفي على شوارع الإسكندرية جمالا لا يراه كل شخص.

بعد أن وصلنا قال - زينو- أن علينا الذهاب نحو منزل الضحية وسنجد الضابط هناك.. قصدنا شارع الجريمة فوجدناه مملوءً بسيارات الشرطة، لازالوا يطوقون المكان ويحققون رغم النتائج التي توصلوا لها، لابد أن ضغط

الاعلام أجبرهم على إطالة مدة التحقيق أكثر.. على كل حال فعندما وصلنا منعونا من الاقتراب لكننا طلبنا منهم النداء على الضابط خالد ، الحمد لله أنهم وافقوا على هذا الطلب.. بعد دقائق رأينا الضابط قادما من بعيد وعلى وجهه ابتسامة واضحة، قابلنا بحفاوة ثم قال لذالك الشرطي :"هذان شرطيان مثلك من الجزائر أرسلتهم الحكومة أيضاً للتحقيق في هذه القضية"، لفتت انتباهي كلمة (أيضاً) هل هناك غيرنا من الجزائر في الداخل؟ هل عبد الجليل هنا؟.. دخلنا مسرح الجريمة لنرى السرير ذاك موضوعا في مكانه، أو لنقل شبه سرير لأنه ملتوي إلى الأرض كأن شخصا ضخما أراد النوم عليه. رائحة العطن لازالت تغمر المكان، هذا واضح بما أنهم لم ينظفوا الغرفة كاملة، الرائحة تنبعث من السرير فهناك قطع لحم صغيرة عالقة عليه. تكلم -زينو- أخيرا وهو يحكم قبضته :" أعطونا التقرير المفصل مرفقا بنتائج الطب الجنائي"، استدار الضابط نحو الشرطي الواقف أمامه وأومأ برأسه كي ينفذ ما طلبه. مرت دقيقة ثم هاهي الأوراق بين يدي -زينو- يتمعن فيها ويقرأ بعض الجمل بصوت مرتفع :" زوجته وجدت ساقطة بجانبه فاقدة للوعي"، ، " سلاح الجريمة لم يوجد بعد ويُقدَّر أنه بطول المتر والنصف وبوزن 3 قناطر" ،،" وجد تمثال صغير قرب السرير ولكنه أثر عادي وتم اعادته لمدير الحفر"،، "التمثال أحضره الضحية قبل يوم من الحادثة".. ضم - زينو- الأوراق وقال :"سأبسط لكم ما سأفعله، أريد مقابلة زوجة الضحية أولا " أجابه أحد الشرطة :" لن تستفيد منها شيئا فهي فاقدة للعقل وتتكلم بطلاسم غير مفهومة ".. تنهد الضابط ثم قال :" حسنا، فلأوصلكم إلى المستشفى".

استأذنا الطبيب فسمح لنا بطرح بعض الأسئلة عليها لكن بشرط أن لا تتجاوز الزيارة خمس دقائق، شكرناه ثم دخلنا وأغلقنا الباب من خلفنا. هذه المرأة تحملق في السقف دون أن يرف جفنها حتى، عيناها ذابلتان يحكيان حزنا لا يوصف. مجموعة من الأنابيب مغروسة في أنحاء جسدها.. بقينا أنا والضابط واقفين قرب الباب وتقدم زينو فجلس بقربها وبدأ يتحدث :

-"مدام مينا زوجة أحمد".

لم يتغير في ملامحها شيء سوى دمعة خرجت دون مقدمات.

-"وجدنا قاتل زوجك ولكن المحكمة لن تصدقنا دون الأدلة الكافية".

انفعلت أنا بسبب هذه الجملة وأردت التدخل لكن الضابط أمسك ذراعي قائلا بصوت منخفض جدا :"إنه يتحرى كأنه يلعب الشطرنج".. أضاف - زينو- :

-"مدام مينا! أنا أقدر حزنك ولكن زوجك يريد منك الانتقام له فهلا تعاونت معنا".

هنا ودون سابق إنذار جلست بطريقة الزومبي الناهضين من القبر، حتى أصبحت تحملق بين فخذيها ثم أدارت رأسها باتجاه – زينو – وقالت بصوت غاضب :"أنت تكذب.. قاتل زوجي لا يستطيع أحد الإمساك به ".. الضابط برباطة جأشه كاد أن يسقط أرضا من الذهول، المرأة التي كانت لا تكلم أحدا، وإن تكلمت حكت طلاسماً؛ الآن تحدثت.. وقف -زينو- من على الكرسي واتجه نحونا مطأطأ رأسه ثم قال: "هيا بنا"، تعجب الضابط من فعله هذا وأراد

الكلام لكن صوت المرأة قاطعه قائلا :"اذهبا أنتما واتركا العباس بجانبي"، التفتنا لها جميعا مذهولين فوجدناها ولأول مرة مبتسمة.. ربَتَ -زينو- على كتفي ثم قال :"الكرة في ملعبك"، ما إن خرجا حتى ذهبت أنا إلى ذالك الكرسي وجلست عليه فبدأت هي الحوار :

-زوجي كان يحبك جدا وأظنك تذكره.

-أنا أعرف الأشخاص الأجانب من الفيسبوك فقط، ماذا كان اسمه؟

- اسم حسابه ahmed Hero.

-اااه تذكرته ، الشخص الذي كان يناديني ب "ابني الصغير".. وبما أنك زوجته فأنت مينا عامر صاحبة حساب " رياحين رياحين".

-الحمد لله أنك تتذكرنا.. تزوجنا منذ خمسة عشر عاما ولم نرزق بأطفال وعندما رأيناك تلاقي المرارة من أقاربك اقترحنا عليك السفر عندنا..

(أسمع صوت جلبة من الرواق وأظن أنه الطبيب أتى لينهي زيارتنا.)

- قبل أشهر علمنا أنك في الثكنة العسكرية هنا في مصر فذهب زوجي يسأل عنك لكنهم لم يوافقوا على مقابلته لك.

-نعم لأن القوانين صارمة جدا في تلك الأيام.. أنا حزين أننا لم نلتقي في ظروف أفضل.

-صديقك ذاك يظن أنني بلا عقل وأراد خداعي.. اسمع ، هل يمكن أن تتحرك الحجارة بمفردها؟

-لا يمكن.. إلا إذا حركها شيء ما.. لماذا تسألين؟

-ذاكرتي تعود إلى شيئا فشيئا ومما عاد منها أني رأيت ذالك التمثال الصغير يتحرك وسط الدماء وله عينان آدميتان، أنا واثقة من هذا.. ذالك الصنم هو السبب في موت زوجي...

خرجت من الغرفة بعد مضي سبع دقائق من دخولنا، نظرت إلى الطبيب فوجدته غاضبا يكاد ينفجر، هؤلاء الأطباء لا يلتزمون بمواعيدهم وعندما يتعلق الأمر بالزيارة ينقلبون فجأة.. غادرنا المستشفى وصعدنا السيارة فقال الضابط :" هل أفادتك في شيء؟"، بقيت صامتا أفكر حتى أني نسيت أن أجيبه على سؤاله هذا وأظن أن صمتي كان إجابة كافية... التمثال وحش من تلك الوحوش ولكن كيف يكون وحشا ويبقى في وسط الغرفة يراه الناس تمثالا ويحملونه؟ هل هو وحش يتجسد وسط الأشياء وعندما ينتهي من عمله يخرج؟، يجب أن أرى هذا التمثال، يجب..

ذهبنا مباشرة إلى مكان التنقيب عن الآثار حيث كان يعمل الضحية.. رجال كثر وسط الحر يحفرون ويحفرون، العرق غسل ملابسهم حتى تشكلت خرائط بيضاء عليها.. سكوت رهيب يعم المكان حتى لا تسمع إلا صوت المعاول تضرب في الأرض، بادرهم الضابط بتحية الإسلام :

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته (بأصوات مختلفة)

-أين رئيس العمل؟

-تحت الأرض (قالها أحدهم وهو يشير بإصبعه إلى الأرض).

-هل مات هو أيضاً؟

- اذهبوا إلى هناك (ويشير بإصبعه) ستجد سلما يأخذ إلى أسفل الأرض، الرئيس هناك يقرأ بعض الكتابات.

هؤلاء العمال ليسوا ودودين بالمرة ويكرهون كثرة الكلام وسط العمل، هم على حق، لو كنت مكانهم لهشمت رأس الضابط بعد تلك المزحة السخيفة، عندما تكون تحت ضغط العمل تنغلق أذنك ويصبح أي شيء يدخل منها مصدر إزعاج.. ذهبنا حيث أشار لنا، حفرة ربما بعمق 12 متراً مزودة بسلم من السطح إلى القاع.. صرخنا أولا قائلين :"أيها الرئيس!" فأعاد لنا الصدى الصوت مِراراً. ثم وصل إلى ءاذاننا صوت آخر :" تعالوا".. نزلنا السلالم درجة درجة إلى أن لامست أقدامنا الأرض فوجدنا أنفسنا وسط رواق ممدود من الجهتين، هل نمشي يمينا أم يسارا؟، لمحنا من اليمين طيف ضوء فذهبنا نحوه، بعد ثوان وجدنا أنفسنا أمام الرئيس ومعه شخص آخر يحمل معولا يحاول نزع باب وجدوه.. باب مصنوع من الذهب عليه نقوش ورسومات، كنا نريد سؤاله عن ذالك التمثال لكن هذا الباب أنسانا كل شيء.. عندما تقدمت خطوة سقطت أتربة من الجدار فسلط - زينو- الضوء على الجدار العلوي متسائلا :" هل هذا النفق آمن؟ لا أريد أن أموت هنا وأنا لم أتزوج بعد" لم يضحك أحد من هذه النكتة لأن عيونهم تسمرت حيث ضوء -زينو-، النقوش ملأت السقف كله فجأة!!، أنا الوحيد الذي فهمت معنى هذه الرسومات،

أفهمها كأني قضيت عمري أدرسها، نقوش ورسومات بالدم تقول :" بوابة القولدن جاهزة، أين قربانك؟"

***

عميل الاستخبارات الأمريكية :

-أيها الرئيس! استأجرنا منزلا قريبا من منزل المشتبه به حتى نستطيع مراقبته عن كثب. (يتقنان العربية رغم أصلهما الأمريكي).

-جيد ، اذا حصل شيء ما أبلغني.

-أمرك سيدي.

نحن في ولاية غرداية حيث الصخور والمباني القديمة، تصلح لتصوير فيلم، لمَ لا نرى مثل هذه الأماكن في التلفاز أو في الهاتف؟ نسيت أننا في إفريقيا، القارة المظلومة إعلاميا.. ليس وقت التأمل يا عادل (هذا اسم مستعار يضعه لنفسه عندما يكون في بلد عربي) ، أنت في مهمة وعليك تنفيذها ، من أحبط خططنا وكلفنا خسائر باهظة سيدفع الثمن.. انتظرنا يومين جالسين في مقهى مقابل للمنزل ننظر من يدخل ومن يخرج. لديهم هنا كلام يقولونه عن من يرتاد المقهى كثيرا ويراقب المارة، يصفونه بكلام قذر وبعضهم يشك أن الدولة وضعتهم كاستخباراتيين بين الناس، هذا الكلام الأخير ينطبق علي لكن لست تابعا لهذه الدولة وإنما ولائي لأمريكا.. في اليوم الثالث دخل شاب إلى ذالك المنزل، شاب أول مرة نراه هنا فقال لي رفيقي أن نداهم المنزل فقلت له

:" لا يجب أن نلفت الأنظار إلينا، سننتظر حتى يخرج أو يخرج جميع أفراد العائلة".. بقينا هناك ساعة حتى خرج ومعه محفظة على ظهره، تركناه حتى أراد الصعود في السيارة وباغتناه بضربة على رأسه وأخذناه في سيارتنا.. سنذهب إلى مكاننا السري وهناك سنستجوبه، انتقلنا إلى ولاية ورقلة حيث مخبأ العصابة السري، تبقى هنا خمسة عشر رجلا على قيد الحياة ؛ رميته أمامهم قائلا :"هذا عبد الجليل أحد رفقاء العباس الذي قتل أصدقاءكم".. تَحَيَّر بعضهم والبعض الآخر رفسوه بالركلات على بطنه، رحت أذوب عنه بيدي، ولساني يقول :"لم يحن وقت قتله بعد، سيرشدنا إلى مكان العباس أولا".. تكلم أحد من البعض الحائر :" قلتَ أن اسمه عبد الجليل؟ ألم يمت رفيقه عبد الجليل على يد هشام؟ ".. أجابه أحد الرجال الذي كان يرفس قبل قليل :" أنا كنت في قالمة ذالك اليوم ورأيت جثة عبد الجليل أمام عيني وهذا الذي بين يدينا شخص آخر يحمل نفس الاسم "..

زالت الحيرة واتجهت الأنظار نحو عادل ولسان حالهم يقول :" مُرْنا ونحن ننفِّذ " ، فقال بحزم :" صبوا الماء على وجهه، سأبدأ في استجوابه". أتى أحدهم بسطل ماء وأفرغه على رأس عبد الجليل فارتعدت فصائله ، خصوصا بعدما وجد نفسه منزوع الملابس سوى من خرقة تستر عورته، عادل واقف أمامه بشعر أصفر وعينان زرقاوان. هذه الأوصاف جعلته يعلم أن الواقف أمامه أجنبي وهؤلاء الرجال من حوله هم نذير شر..

-أين أخذت العباس؟

-من يكون العباس هذا؟

(ركلة على الوجه)

-تكلم حتى يكون موتك سريعاً.

-أنت أذو أصل أمريكي، وهؤلاء الرجال هم من عصابة B.M ، أليس واضحا أن أمريكا تدعم الإرهاب؟

(ركلة أخرى على الوجه جعلت ضرسا تتدحرج على الأرض)

-نعم واضح، وهذا الوضوح سيموت معك هنا.. لن أكرر سؤالي مجددا، أين العباس؟

-انتهى عصركم أيها المتغطرس ، ألم تملوا من محاولاتكم الفاشلة؟

-أحضروا الإبر (مخاطبا الرجال).. ستتألم حتى ينطق لسانك دون إرادتك.

أخذ عادل إبرة وأدخلها تحت ظفر الابهام، ببطء ببطء كأنه يستمتع بذالك وضحيته تصرخ وأطرافها تلتوي ألما.. عندما انتهى دخول تلك الإبرة أخذ واحدة أخرى وأعاد الكرَّة مع الإبهام الثاني ثم بقية الأصابع إلى أن وصل الأصبع الأخير تحدث عبد الجليل ولسانه يرتعد مع كل كلمة :

-توقف، سأقول لك.. سأقول لك.

وقف عادل وأعطى الإبر المتبقية للرجل كي يأخذها ثم قال :

-أخيرا عدلت عن قرارك وستتعاون معنا.

ضحك عبد الجليل من وسط الألم وهو يردد :

-سأقول لك.. سأقول لك.. سأقول لك شيئا ، حبيبتي فاطمة ماتت بالإبر وشرف لي أن أموت مثلها.

(ركلة على الرقبة أفقدته الوعي)

-عادل : هذا الغبي لن يفيدنا في شيء.

-أحد الرجال : ماذا نفعل له؟

-عادل : سأذهب إلى العاصمة حيث الرجال المتبقون، سآخذه معي وهناك سأقرر.

سافر عادل في شاحنة من النوع الثقيل ولم يلحظ الأمن وجوده فيها.. بعد ساعات وصل إلى العاصمة ثم إلى مقرهم في بناية مهجورة على جوانب المدينة.. دخل عادل فصمت الرجال الذين كانوا في الداخل، بالطبع فقد أتى سيدهم الغربي.. تغيرت ملامحه وصارت أكثر جدية وبدأ يمر من أمام الرجال الواقفين واحدا واحدا، ينظر إلى عيني الرجل بحزم ثم يذهب إلى الذي بعده، عندما انتهى منهم جميعا بدأ يلقي خطابه صارخا :

-أيها الرجال، إنا ندعمكم منذ زمن كي تبلبلوا أمن الجزائر وتضعفوها ولكنكم فشلتم أمام طفل صغير.. أمريكا لم تعد تثق بكم كالماضي ولهذا أرسلتني مع صديقي لننهي أمر العباس هذا.. وجدنا طرف خيط وتبقى أن نسحبه. هل من أسئلة؟

تقدم أحد الرجال خطوة إلى الأمام وقال :" سيدي ، أخبرنا بالخطة وسننفذها".. تحسس عادل جيبه ثم نظر من حوله وقال :" علينا وضع النقاط على الحروف أولا، من منكم رأى صورة العباس سواء في الواقع أو في المواقع فليرفع يده".. رفع ثلاثة رجال أيديهم وهم لا يعرفون المغزى من هذا السؤال، أدخل الخواجة يده التي كان يتحسس بها جيبه في جيبه، وأخرج مسدسه وفي غمضة عين قتل الثلاثة رجال.. تصلب الحاضرون في أماكنهم فتنحنح هو وأكمل قائلا :" الآن سأحكي لكم عن أسطورة أمريكية تقول أن في كل عشر سنوات يولد طفل ذو مواهب خارقة يلقب بالڤولدن ومن يعلم بحقيقته سيصبح قربانا للوحوش ، الڤولدن هو العباس وهذا يفسر كل ما فعله بكم.. " رد عليه أحدهم :" لماذا تخبرنا بهذا؟" نظر عادل إليه وأكمل :" هذا سيعطيكم حافزا أكبر لقتله ، لو بقي حيا فسيبلغ سن الخامسة والعشرين أو عندما تنتهي القرابين الخاصة به سينتهي أمره وأمر البشرية كلها، هل منكم من يريد أن يكون عبدًا بين يدي وحوش قذرة؟.. بما أنكم فهمتم الآن فلننتقل إلى الخطة، لدينا أحد رفاق العباس وعندما فتشنا محفظته تبين لنا أنه عميل استخباراتي، سنحاول جعله يتحدث وإن لم ينفعنا في شيء سننتقل إلى الخطة (ب) وهي خطف أحب شخص إلى العباس" نفس الرجل تكلم مجددا :" هل سنلجأ إلى هذه الحيلة الرخيصة؟ ".. فجر عادل رأسه بآخر رصاصة تبقت له في مخزن المسدس وأكمل قائلا :" أكره من يسأل كثيرا.. هذه طريقتنا في العمل نحن الأمريكيون وإن لم تعجبك فابتعد عن طريقنا.. الأحمق! لن يسمع جملتي الأخيرة " تنفس الرجال الصعداء عندما علموا أن الرصاص انتهى من عند عادل، لكنه أخذ مسدس أحدهم

كان يضعه على الطاولة وأكمل حديثه :" أين توقفنا؟ اااه في الخطة (ب)، لا تقلقوا فلا أظن أننا سنضطر إليها.. نظفوا المكان من هذه الجثث الأربع ".. أعاد المسدس إلى الطاولة ودخل إلى الغرفة الرئيسية ليفكر منفردا في ماهية الخطة (ج) و (د) لأنه لا يريد أن يفوته شيء، إنه خصم جيد ل -زينو- لو أنهما يلتقيان..

***

(((أنا العباس الراوي وكنت وعدتكم بمواقف خمسة أخرى، حصلت معي خارج البلد وستقرؤونها بدون عوانين، يعني تكون ضمنية.. أما الآن سأضيف بعض الأحداث التي ستوضح القصة أكثر أو ربما تعقدها أكثر.. المهم أن لا تنسوا بأن الثلاث نجمات تفصل بين الحدث والحدث، وأعيد وأكرر أن هذه القصة تحتاج تركيزا كي تربط بين الأحداث فإن لم تفهم هذه الأحداث السابقة فأعد قراءة مالم تفهمه لأني لا أحب من يقرأ لي وهو لا يفهم ما أكتبه..)))

***

عنوان منسي :

لازلتم تذكرون هند وفاطمة!!، [2] الضحيتان اللتان ماتا بالإبر! ، حان الوقت لأحكي لكم أنا فاطمة عن شيء نسيته.. قبل أشهر عدة من الحادثة وبينما

[2] راجع الكتيّب الثاني، الضحيتان الأخيرتان

نحن في محلنا أخيط بعض الأقمشة وإذ بزبون غير متوقع يدخل للمتجر يقول :

-السلام عليكم ورحمة الله.. جئت آخذ أغلى شيء عندكم هنا..

إكفهر وجه أختي وأرادت الصراخ في وجهه لكنه سارع بإكمال كلامه :

-جئت على سنة الله ورسوله أطلب يد ابنتكم فاطمة..

تحول الضيق على وجه أختي إلى ذهول وتلعثم لسانها وقالت :

-منزلنا على بعد خطوات من هنا وأمي هناك.. تستطيع الذهاب إليها وإعادة هذا الكلام أمامها.

-حسنا.. هذا أفضل.

بعدما خرج متجها نحو منزلنا سارعت أختي بإخباري، أغلقنا المحل مؤقتا وعدنا من طريق أخرى ودخلنا البيت من باب آخر ثم إلى غرفتنا نسترق النظر إلى غرفة الضيوف حيث تجلس أمي ومعها ذالك الشاب ، نظرت إليَّ أختي وسألتني إن كنت أعرفه فأجبتها بالنفي، من أين لي أن أعرف الرجال؟ أنا لا أختلط بهم حتى في الفيسبوك، إلا نادرا ما أقع في شخص.. كان يتكلم مع أمي عن أخبار البلد – لا أدري أي بلد يقصده – والأسعار المتذبذبة وأمي تضحك بهستيرية لم نشهدها من قبل. ثم بعد هذه الضحكة الأخيرة انخفضت أصواتهم ولم نعد نسمعها حتى صرخت أمي قائلة :"فاااطمة.. فاااااطمة" هندمت نفسي وطأطأت رأسي خجلا ثم بدأت أضرب قدماي بالأرض كي يظنا

أنني قادمة من بعيد ، فتحت الباب وبخطىً متثاقلة إلى أن وصلت قرب أمي وجلست، نهضت أمي وقالت :" سأذهب لأطلب من هند أن تعد لكما الشاي"، طبعا هذه حيلة قديمة لترك الرؤية الشرعية تسير دون تدخلات وبالتأكيد فأمي لن تبتعد عن الباب قيد أنملة، هي الآن خلفه تستمع إلى حديثنا.. سألني عن إسمي وحالي – كأنه لا يعلم – وسألته بدوري عن اسمه وحاله – لأنني لا أعلم بالفعل –، قال أن اسمه (عبد الجليل) وينحدر من الجزائر وسينتقل مع عائلته إلى المغرب بعد أشهر ان شاء الله ، ولديه سكن ليس بالبعيد من هنا. تحدثنا مطولا عن الأشياء التي تخص البلد وهتلر وأسعار البطاطا وأنواع الإبر، رؤية شرعية دامت نصف ساعة وأمي لاتزال خلف الباب تستمع إلى حديثنا، عندما قدرت أن الوقت تأخر دخلت علينا وفي يديها القهوة تحملها بصعوبة – بسبب كبر سنها – سارعت لأحملها عنها و عبد الجليل نهض معي في نفس الوقت لنلتقي على المائدة كل منا يمسك بطرفها، ضحكت أمي وهي تعلم أننا منسجمان أكثر من اللازم.. منسجمين كزوجين يليقان ببعضهما.

مرحبا، أنا عبد الجليل - لست عبد الجليل صاحب القلب المتوقف -، أنا من أخذت العباس من عند أهله وأعطيت بطاقة تعريفي إلى أبويه. كانت تحكي لكم حبيبتي فاطمة قبل قليل عن طلب يدها. رأيتها في الفيسبوك وأعجبتني أخلاقها فاتخذت قراري ، ربما أنتم تضحكون عليّ كيف أختار زوجة من خلال منشوراتها وتعليقاتها، أنا أثق في حدسي. الفتاة التي تراها تكثر الدخول إلى الفيسبوك فهي كسولة لم تصلح للبيت بعد ، أما من تنشط أحيانا فقط فهي ذات مشاغل وأغلب الظن عاملة في البيت وهناك معايير أخرى وأنت يجب أن تكون فطنا.. في بادئ الأمر كنت قلقا من كون المخابرات لن تسمح لي

ولكني أخبرتهم فيما بعد أننا نريد الانتقال إلى المغرب وبدا كما لو أن الأمر راقهم كثيرا فقالوا أنّي سأواصل عملي هناك وسمحوا لي بالزواج لكن بشرط أن أعطيهم سيرتها التفصيلية وصورة لها كذالك، لن يكون هذا عائقا بالنسبة لي، أنا قلق فقط من أن يخيب حدسي ومعاييري التي وضعتها... عندما وصلت إلى ذالك الشارع سألت عن اسم العائلة فأرشدوني إلى محل قريب مكتوب عليه (محل السيواني للخياطة والحياكة والتطريز) دفعت الباب وإذ بفتاة كبيرة محتشمة تنظم بعض الأغراض، لن أكذب عليكم فقد ظننتها أمها، يقولون أن الأم مرآة ابنتها فإن صدقت هذه المقولة فمعاييري لم تخطئ.. قالت أن المنزل ليس بالبعيد ومن جوابها استنتجت أن هذه إما أختها وإما هي نفسها.. دخلت البيت وجلست قرب والدتهم، امرأة طاعنة في السن تكاد تدخل مرحلة الضعف. قابلتني بحفاوة وتحدثت معها طويلا، مرة تسألني ومرة أسألها وقالت أن زوجها المرحوم ترك لهم هذا المحل وابنتاها تحبان العمل فيه. ضغطت أضراسي بعضها ببعض لأن الفتيات العاملات كثيرا ما تجدهن كثيرات الشروط.. طلبت منها بأدب أن أراها لو سمحت، نادتها وكانت خلف الباب تستمع إلى حديثنا ثم راحت تضرب قدماها بالأرض لتوهمنا أنها قادمة من بعيد، هذه الخدعة أراهن أنها مرَّت على أمها ولكن لن تمر على أذناي، أستطيع إدراك الأصوات الخافتة ومعرفة مصدرها بسهولة وقياس شدة النبرات بأذني فقط، - هذه موهبة جعلت الاستخبارات يتبعونني -. بما أنها استعملت هذه الخدعة معي فقدرها اهتز قليلا في داخلي.. مطأطأة رأسها تمشي على استحياء، على قدر من الجمال، صوتها أصابني بالشلل كقنبلة صوتية، أول مرة أحس بالخجل أمام شخص.

بعد حوار طويل خرجت من عندهم وأنا ذاهب لعمل مهم في المدينة المجاورة، أعطيتهم رقمي ليبلغوني بردهم فيما بعد.. تمنيت لو أنهم يوافقون ، فتاة كهذه لا أود أن تكون لغيري.. في مساء ذالك اليوم اتصلوا بي وأخبروني بموافقتهم فباركت لي ولهم وبعد أسبوع زرتهم مجددا ولكن هذه المرة مع أمي ولم نرحل إلا ونحن قد نسجنا كل الخيوط..

أرسلت لها عبر الفيسبوك وكنا نتواصل أحيانا بحكم عملي الكثير وعملها أيضاً، مرة في كل ثلاثة أيام نتكلم نصف ساعة على الأكثر، تعلقت بها أكثر مما تعلقت بي هي، كنت أتمنى لو أننا ننهي التدابير بسرعة كي نسافر، تمنيت وتمنيت ولكن ذالك اليوم.. قتل 15 شخصا بطريقة بشعة، ضحيتان من المغرب.. اسوأ أيامي حصل بالفعل ولا أظن أن يوما أسوأ منه قد يأتي مستقبلا.

***

في غرفة العمليات هناك الرئيس واقف ينظر إلى الشاشة المعلقة على الجدار والعملاء ينظرون في حواسيبهم.. تكلم الرئيس لأحدهم قائلا :

-هل من أخبار من الأفرقة التي ذهبت؟

-لقد كان مقررا أن يذهب عبد الجليل واثنان آخران إلى المغرب ولكن عبد الجليل لم يلتحق بعد، حتى هاتفه لا يرد عليه.

-أخبر الفريق أن يذهب بدونه، إن ظهر فسيلتحق بهم.

-حاضر.. نسيت! هناك خبر عن تحرك المخابرات الأمريكية، أظنهم يبحثون عن العباس يا سيدي.

-دعهم يبحثون، لن يجدوه مادام في مصر.

-لكن المهلة التي أعطيناها لعائلته ستنتهي قريبا.

-عندما تنتهي سنقبض على هؤلاء الجرذان.. بالمناسبة ، هل من أخبار عنهما؟

-لا شيء حتى الآن يا سيدي.. ربما وجدا خيطا أشغلهما عن الاتصال.

-سننتظر إذًا.. ماذا عن الموضوع الذي طلبت منك البحث عنه.

-اااه ، وجدت على الإنترنت المظلم معلومات سرية تقول :

"الڤولدن عندما يصل سن الخامسة عشر تتبعه وحوش تنوي أخذه لفتح البوابة الثامنة، إن فتحت فسيقع الجنس البشري في الهاوية.. على الوحوش قتل خمسة عشر شخصا يؤمن بالأسطورة ويعرف من هو الڤولدن ويكون قد رآه بعينيه.."

-هذه معلومات مهمة، لكن لن نستطيع التأكد من صحتها.

-أشك في أن هؤلاء الضحايا قد تحققت فيهم الشروط.. لكن من يكون الڤولدن؟ وأيضا فحتى الآن قد مات ثلاثون شخصا.. هل سنتبع هذه الأساطير في تحقيقاتنا؟

- علينا أن نفكر خارج الصندوق، مادام قد مات أكثر من خمسة عشر شخصا فهناك ڤولدنان وليس واحد، وبما أنه توفرت الشروط ولم يحصل شيء فهناك طرف آخر يساعدهما ويقتل بعض الضحايا.. أما من ناحية ماهية الڤولدن فأنا أشك في أحدهم..

لم يرى أحدهما عدد الوحوش التي أحاطتهما ، عيون حمر وأظافر طويلة ومخالب كالسيوف ونيران زرقاء.. وحوش كثيرة تنتظر خطأ واحدا لتضحي بهما.

-هل تقصد؟ ال....

-نعم، لكن انتظر! ماهذا الغباء الذي نتفوه به نحن ؟ لو كانت الأسطورة حقيقية لكنا الآن ميتَين.. دعنا منها.

(لحسن حظهم أنهم فكروا بهذه الطريقة)

***

سيرة يحيى : - ج 02 -

قبل مدة كنت في عنابة حين سمعنا صوت انفجار ضخم لم نعلم مصدره وبعد ساعة انتشرت أخبار بأن طائرة كانت قادمة من مصر سقطت ومات كل من فيها سوى طفل نقلوه للمستشفى على جناح السرعة، ولغاية في نفسي

ذهبت لأراه.. المستشفى ليس ببعيد، أوقفت تاكسي وبعد ربع ساعة وجدت نفسي أمامه، دخلت أجوب الأروقة ولكي يسهل تنقلي باغتُّ طبيبا وأخذت ملابسه. أما بالنسبة للغرفة المقصودة فلم أجد صعوبة في ايجادها.. وصلت أمام الباب، طرقته بأدب ليظهر من خلفه الممرض المسؤول عن الفتى، عندما أريته بطاقتي الشخصية التي أخذتها من الطبيب تنحى جانبا مفسحا لي الطريق، دخلت بخطى متثاقلة وقلب مرتعب خائف أن يكشف أمري، ها أنا قرب السرير ورأيت ما توقعته تماما، الطفل لم يصب بخدش واحد. أشرت للممرض أن يتركني معه قليلا فوافق على الفور، سحبت ورقة وقلما من جيبي وكتبت رسالة موجزة وضعتها في جيبه وغادرت الغرفة مسرعا.

أنا أتعمد سرد بعض الوقائع المهمة عليكم فلا تتعجبوا هذه الطريقة لأني في مزاج غير مناسب لتنظيم أفكاري.

في اليوم الموالي دخلت الفيسبوك، كعادتي أتواصل مع أختي وصديقي الذي هو زوجها – لا يعلم أنها أختي – وأحيانا أتصفح المنشورات وخصوصا تلك الصادرة عن مجموعة فلسفة مريض نفسي لأنها تلامس قلبي، هذه المرة ظهر أمامي منشور من فتاة إسمها خليلة تقول أنها رأت العباس في الشارع مصادفة وهو يسلم علينا.. من يكون هذا العباس؟ بحثت في المنشورات القديمة عنه فوجدته : طفل عاش حياة كئيبة بسبب شكله القبيح، لحظة! رأيت هذا الفتى يوم أمس! إنه الناجي الوحيد من الطائرة، الخيوط تترابط في رأسي بعدما تصفحت منشوراته وعلمت أنه يجيد الهكر. – طفل مشوه – هكر محترف – ناجٍ وحيد!.. هذا الفتى وراءه سر خطير.

بعد هذا مباشرة قررت تتبعه، عدت للمستشفى ذاك لكن الصحافة أخذت كل موطئ قدم، سمعت من حديثها أن الناجي قد هرب بعدما باغت ممرضا - لا أدري ما ذنب أطباء هذا المستشفى حتى يتلقى أحدهم الضرب كل مرة -، كيف سأجده الآن ؟ فقدت الأمل بعد هذا الحادث. ليتني اختطفته أنا واستجوبته، رسالتي التي تركتها له لم تعد ذات أهمية، تبًّا..

-بعد ثلاثة أيام رأيت خبرا عن محاولة تفجير طائرة في ورقلة ولكن طفلا أوقف عداد القنبلة في آخر لحظة، هذا هو، كان في عنابة والآن هو في ورقلة، يالغبائي، لم تخطر على بالي فكرة انتظاره في بلدته، يسكن في (آولف) !! سيعود حتما إليها وما علي سوى الانتظار هناك، حزمت بعض الأغراض ونظرت لنقودي أولا، تبقت لدي 6000 دج وأظنها كافية.. سألت عن أقصر طريق لآولف فقيل لي أن علي الذهاب لعين صالح ثم أقطع بعدها مسافة 150 كلم إلى آولف. على كلٍّ فليست أبعد من إليزي، بعد 20 ساعة سأصل وأرتاح عند صديق لي في عين صالح ثم أكمل طريقي بعدها، هذه كانت خطتي لكنها تغيرت عندما رأيت العباس يصعد على نفس الحافلة التي أنا فيها، مصادفة! لا أؤمن بالمصادفات وإنما بالقدر، القدر جمعني به وعليّ استغلال الفرصة؛ ما إن هممت بالذهاب للجلوس قربه حتى سبقني أحدهم، شخص صوته مرتفع تكاد تجزم أن في فمه مكبرات صوت؛ بيني وبين الفتى مقعد واحد فتقدمت إليه كي يتسنى لي سماع حوارهما كاملا. الشاب اسمه السعيد ويعرف هذا المدعو العباس من خلال الفيسبوك ولكن هذا الأخير فاقد للذاكرة وهو عائد لمنزله كي يستعيدها. لن يفيدني في شيء وهو على هذا الحال لذا سأتبعه حتى يتذكر كل شيء. بعد برهة أتاه اتصال جعل الرعب يظهر

على وجهه، حاولت الاستماع إلى المحادثة لكني لم أستطع؛ أرجو أن لا تكون ذات أهمية لي.. وصلنا المنيعة بعد سويعات وعندها انتهت رحلة - السعيد - ونزل في المحطة وبقي العباس جالسا بمفرده، لن أذهب عنده لأنه فاقد للذاكرة ولازال مرعوبا أيضاً، سأصبر حتى يحين الوقت المناسب.. 400 كلم بين المنيعة وعين صالح وأكثر منها بين ورقلة وإليزي ، كلها (رڤ) قاحل ، لو استغلت الدولة هذه الأراضي في الزراعة لحكمنا العالم هههه دعونا من هذا الآن فرحلتنا تأخرت بسبب انفجار إطار العجلة، خرجنا من الحافلة لنريح أعضاءنا قليلا ، تذكرت! أين ذالك العباس؟ نظرت يمينا وشمالا فوجدته واقفا مع فتاة لها شعر وعينان سوداوان كالظلمة.. لماذا أتكلم معكم بالألغاز؟ لماذا لا أقول أنها شيماء وأريح نفسي وإياكم! كلكم تعرفون شيماء وأنا بدوري أعرفها. ما إن رأتني لمحتها حتى نادانا سائق الحافلة كي نصعد، لن أجازف بالحديث معها أمام العباس لذالك سأستعمل سلاحي الوحيد وهو الصبر.. بعد ساعة ونصف وصلنا لعين صالح وكنت قررت ما سأفعله، بعيدا عن الحافلة وقفت أراقب العباس أين سيذهب، توجه غربا! يالغبائي مجددا، طبيعي أن يذهب إلى المحطة الأخرى كي يكمل سفره نحو آولف. سأتبعه لأرى ماذا سيحصل.. أنتم تعرفون قصة عين صالح وطريقة التقاءه بعمه، أنا شهدت على ذالك وتبعته إلى حيث يسكن عمه وعندما دخل للبيت ذهبت أنا عند صديقي كما كان مخططا له. في صباح اليوم التالي أيقظني من نومي صوت صراخ الأطفال قرب المتوسطة المجاورة لنا، سألت صديقي عن سببه فقال أنهم وجدوا قنبلة مزروعة فأعلنوا عطلة للتلاميذ، تبا لهدوئه رغم هذا الخبر الملعون، كأنه مؤمن من أن هذه مشكلة لا تحتاج قلقا وستحل بعد

قليل، على كل تجاهلت الأمر ورحت أصلي ثم عدت أملئ معدتي بالقهوة.. استأذنت صديقي في الخروج فأبى إلا أن يوصلني بسيارته إلى حيث أريد، سيارة سوداء فاخرة – بحكم أنه من عائلة ثرية – وأنا تعرفت عليه من الفيسبوك كالعادة، كان دائما يطلب مني أن أزوره وقد تحقق له طلبه رغماً عني.. كنا نجوب الشوارع حتى وصلنا لشارع – القنطار – حيث يسكن عمُّ العباس فطلبت منه إنزالي هنا، وافق مباشرة دون تفكير كأنه يعلم أني سأطلب مسبقاً. انتظرته حتى ابتعد قليلا ثم وقفت بعيدا عن المنزل المنشود أنتظر ماذا سيحدث، بعد دقائق من الانتظار انفتح الباب فجأة وظهر العباس مستعجلا منطلقا يجري جنوباً باتجاه القنبلة.. سأتبعه.

- بعدما أوقف القنبلة حمله الرجال على أكتافهم، لم أتوقع أن تعجز فرقة تفكيك القنابل عن ذالك، لولم يوجد العباس لضاعت ثقة – زينو – بالنجاة ، الآن علمت الإجابة عن سؤالي، **العباس هو golden العقد.**

***

إذًا فنحن أمام بوابة الڤولدن !! تذكرت هنا شيئا قالته لي شيماء معناه أن البوابة تفتح اذا أتى القربان إليها وسقطت منه ولو قطرة دم.. علي الخروج بسرعة كي لا أُجرح بالخطأ، وضعت يدي على بطني أمثل أني على وشك القيء فقالوا أن أصعد.. بينما أنا في الأعلى أنتظرهم وإذ بهزة أرضية تصيب المنطقة جعلت أجزاءً من التربة تسقط فاجتمع العاملون عند فوهة الحفرة ينتظرون

صعود من في الأسفل ولكنهم تأخروا، قرر أحدهم النزول ليستكشف الوضع وما إن وضع قدمه على السلم حتى سمعنا كحَّة فتراجعنا للخلف ليصعد الرئيس ذاك ومعه الضابط و زينو، وجوههم ملأتها الأتربة وملابسهم كذالك ، أحضَروا لهم ماءً على وجه السرعة فغسلوا وجوههم وبعد أن انتهوا من ذالك أمرهم رئيسهم بمواصلة العمل.. ذهبنا لنأخذ حماما دافئا وبعدها صعدنا السيارة مع ذالك الرئيس متجهين إلى مقهى قريب، جلسنا أربعتنا نتبادل أطراف الحديث، سألناه عن أحمد وماذا حصل وكيف وجدوا التمثال، فأجاب :

"كان أحمد من أكثر عمالي جدية وتفانياً، وأكثرهم خبرة في تفحص الآثار.. قبل يوم الحادثة وجدنا تمثالا صغيرًا لأبي الهول في ذالك الموقع، فطلب مني أخذه ليتفحصه في منزله، أعطيته له كونه أقدر على هذا العمل، في اليوم الذي بعده تأخر عن العمل ساعتين فأرسلت له شخصا ليأتي لي بالتمثال من عنده، كنت مستعجلا لرؤية النتائج.. بعد ساعات وصلني خبر موته، لم أصدق بادئ الأمر وحزنت عليه وخفت من تحريات الشرطة أن تظلمني.. مضى التحقيق وطلبت منهم أن يعيدوا لي التمثال كي أحطمه كونه نذير شؤم.. " سأله زينو إن كان حطمه حقا أم هي حيلة لخداع الشرطة.. تلعثم لسانه قليلا وأضاف :" بالطبع حطمته ، لا أرغب في أن أموت أنا أيضاً. علماء الآثار يعلمون بشأن اللعنات الفرعونية وهذه واحدة منها ".. استأذن منا العودة لعمله فوافقنا له. بعدما غادر نظر الضابط لزينو قائلا :" إنه يكذب حتما، فضحته ملامحه"، زينو كان يفكر عميقا ولم يسمع كلام هذا الأخير فاضطر للمسه بيده قائلا :" ما رأيك؟"، قال زينو بنبرة المحقق :

- التمثال تحطم وعلينا البحث عن خيط آخر.

-ألم تسمع كلامي الأخير، أظنه يكذب.

- أظنك نظرت إلى ملامحه لكن ألم تضع احتمال أن تكون الانفعالات لشيء آخر.

- لم أفهمك.. تكلم بوضوح ودعنا من هذه الألغاز.

-انفعاله ذاك لم يكن قلقا من أن أكشف أمره وإنما كان خوفا من التمثال، هؤلاء الأثريون عادة لا يخافون من اللعنات والأساطير وإنما عندما يعاينونها بأنفسهم يصبحون أشد الناس خوفا منها..

-اااه فهمت قصدك.. رغم هذا لن نستطيع التأكد من كلامي أو كلامك.

- بل كلامك هو الصحيح. التمثال لم يُحطَّم.

- ما هذا العبث ؟ تقول كلاما ثم تنقلب عليه.

- هل يخاف شخص ما من لعنة غير مؤكدة وفي نفس الوقت يجازف بحياته داخل نفق بعمق 12 مترا؟ وأيضا فقد عاينت شخصيته عندما كنا هناك، لا يبدو لي من النوع الجبان.. وفوق كل هذا هل رأيت عالم آثار يحطم أثرا تاريخيا؟

- ولماذا قلت لي كلامك الأول؟

- تعمدت ذالك لأرى طريقة تفكيرك ، ربما تكون عدوي يوما ما.

(تجمدت النظرات ورأيت شجارا يلوح في الأفق خصوصا مع شخصية الضابط)

-الضابط : غلبتني، لو لم تفكر في كل هذا ل..

-زينو : لقلتَ أنني لا أستحق أن أكون عميلا استخباراتيا، لذالك قلت كل هذا أصلا فقد رأيت منك نظرة استحقار لنا وأردت تغييرها.

-ليست نظرة استحقار وإنما أنا حازم دائما بشأن مساعدة لا أعرف صاحبها.. (نظر إليَّ) وأنت يالعباس هل رأيت باسم في هذا الشهر؟

-أنا : عندما كنت في طريقي إلى المنزل اتصلت بي العصابة من هاتفه وعلمت من كلامهم أنهم قتلوه..

- رحمه الله، كان قائدا جيدا وأحسن مساعد لي.

-لكني رأيته مجددا في ولاية بشار ولم أستطع التحدث معه كثيرا لأنه رحل فجأة.

-ربما كان شبحه.. هناك أسطورة تقول أن من يقتل دون أن يقتص له يبقى شبحه يجوب الأرض.

- متى صرت تصدق الأساطير؟

-منذ أن قُتل ثلاثون شخصا تغيرت قناعاتي في أشياء كثيرة.

-أطمئنك أن الأسطورة هذه على الأقل ليست حقيقية لأنني انتقمت لباسم بالفعل عندما فجرت مقرهم.

-لست متأكدا من شيء، كلما أمسك طرف خيط أجده مقطوعا.

(دخل شاب إلى المقهى ويتجه نحونا لكننا لم نلحظ)

الشاب : أهلا يا إخوة، مرَّ وقت طويل.

(نظرنا جميعنا باتجاهه)

غلبتني الدموع عندما رأيته، صديق أنقذني في محنتي وخاطر بحياته من أجلي، صديق حسبته مات وفقدت الأمل في لقائه، إنه عبد الجليل... ضحك ونظر باتجاهي وقال :

-لقد كبرت أيها الصبي.

-هههه وأنت أيضاً أيها العجوز.

بعد تبادل العناقات سأل زينو عبد الجليل عن ماهية المهمة التي أوكلت له هنا فقال :" مهمة سرية" ، صمت الجميع لثواني قبل أن يكمل هذا الأخير كلامه : " منظمة البوراي بدأت في التحرك، وأكاد أجزم أن هدفهم هو تتبع العصابات الموجودة في هذه البلدان".. تصلبت الأجساد في أماكنها والعيون تنظر نحوه فتكلم الضابط :" منذ مدة لم أسمع عنهم خبرا، منذ عشر سنوات لم يفعلوا شيئا" رد زينو عليه :

- زينو : لا أظن أنهم لم يفعلوا شيئا، المهم أن هناك من يقف في صفنا.

-أنا : من تكون منظمة البوراي هذه؟

-عبد الجليل : هي مجموعة من الأشخاص يجتمعون كل مدة لدراسة أوضاع بلدانهم وبعدها يقررون ماذا سيفعلون، وعندما يقررون شيئا فإنهم لا يخفقون في تنفيذه.

-أنا : هل عددهم كثير أم تابعون لحكومة ما؟

-عبد الجليل : لا ذاك ولا ذاك، عددهم لا يتعدى المائة وسجلات أغلب أعضاءها موجودة على الإنترنت، أسماءهم ومقر سكنهم ووو.

- أنا : وكيف لم يتعرضوا لأي أذى؟

-عبد الجليل : هم أذكياء لدرجة لا يتصورها عقل، ذات مرة أرادت عصابة القضاء على أحدهم في بيته، شخص واحد أرسلهم إلى الحياة الأخرى هههههه.

-زينو : يمكننا أن نلتقي بأحدهم أليس كذلك؟

-عبد الجليل : هناك اثنان يسكنان قريبا من هنا، يمكننا اللقاء بهما.

-الضابط : اذهبوا أنتم فأنا لدي مشاغل كثيرة.

- زينو : سنلتقي مجددا ان شاء الله.. لا تمت قبل ذالك.

-الضابط : هههه آمل هذا.

قرية نائية على حدود الإسكندرية يعيش فيها أناس بسطاء أنقياء البشرة قليلو الكلام كثيرو الحياء ، عندما رأونا علموا أننا أجانب عن البلد فرحبوا

بنا ، كنا نتفلت عنهم بعذر أننا لن نقيم وإنما أتينا لزيارة فحسب.. سألْنا عبد الجليل عن مكان البيت فقال " اتبعوني" ، هناك حيث تنتهي بيوت القرية يوجد بيت آخر معزول عنهم ليس ببعيد عن الجبل ، مصنوع بالحجارة الحمراء (طوب الياجور)، بيت كبير نسبيا يذكرك ببيت عبد الجليل. قلت له :

- هل يذكرك هذا بشيء؟

-انتظر لأريك بم ذكّرني.

طرق الباب براحة يده فسمعنا صوت خطوات قادما من بعيد ثم صوت امرأة تقول :" من في الباب؟" فأجابها ب "أنا" هاهاها علمت أنه سيفعلها ، صوت خطواتها هذه المرة يبتعد ثم صوت خطوات أخرى تقترب وانفتح الباب بعدها ليظهر من خلفه شاب ذو بنية قوية أشرق وجهه عندما رأى عبد الجليل فقال :

-أهلا بك، أحضرت أصدقائك هذه المرة.

-نعم ، ويودون طرح بعض الأسئلة عليك ان لم تكن تمانع.

-تفضلوا ولنتحدث في الداخل.

-تبعناه من خلفه ننتقل وسط بيته، في البداية هناك باحة فيها من النباتات الكثير ومفروشة بالرمال الذهبية - كرمال الكثبان الرملية -.. في الداخل رواق تتفرع منه أبواب وفي نهايته منعطف لست أدري ما بعده، ربما غرفة أخرى أو

حمام أو امتداد لرواق آخر.. أدخلَنا للغرفة الأولى، مفروشة بالزرابي فقط، لا كراسي ولا طاولات ولا أريكة، هذا يروق لي أنا وزينو بصفتنا عشنا في هذه البساطة وأما عبد الجليل فهو معتاد على هذا، خيَّرنا بين الشاي والقهوة فاخترناهما كلاهما.. جلسنا نتحدث وتركنا عبد الجليل يعرفنا له ويعرفه لنا، اسمه ساري الحسين وقد تعرف عليه في فلسفة مريض نفسي. كنت أفكر أين مر علي هذا الاسم إلى أن ذكروا اسم مجموعتنا فتذكرته، هذا الشاب كان من أعز أصدقائي وكان يصفني بالغبي دوما - مازحا معي -، أحبَّ فتاة سورية وهو من أصل سوري لكنه يسكن في تركيا فأرادت منه أن يسكنا في بلدها لكنه أبى ذالك بسبب الحروب التي هناك وقال لها أنه سيأخذها إلى تركيا فرفضت هي أيضاً بسبب عائلتها، تريد أن تبقى بجانبهم. بينما أنا شارد في كل هذا وإذ به يكلمني :

-العباس الغبي، كبرت يا فتي منذ آخر مرة تواصلنا فيها.

-بالطبع فقد تلقيت تدريبات قاسية، ماذا عنك، ماذا فعلت مع القضية المقدسة.

- حل وسط وهو أن أسكن هنا.

فهم ما قصدته وقال أنهما اختارا مصر كَحلٍّ وسط.. تلك الفتاة اسمها سناء (جنة الريحان) ، خلوقة وطيبة القلب! هذا لمسته من تعليقاتها ويبقى أمر نسبي، ربما تكون نحلة أو ربما دبّوراً من يدري.. المهم أننا بعد هذا بدأ - زينو- ما جئنا لأجله :

- سمعنا أنك عضو في منظمة البوراي وأردنا سؤالك عن الضحايا الخمسة عشر.

- ساري : (تغيرت ملامحه للجدية) أي واحد فيهم تريد السؤال عنه ؟

-نريد منك تعقيبا عامًّا عليهم.

-هناك تفسيران لما حدث، أولهما منطقي لكنه لا يُصدَّق، والثاني غير منطقي لكنه يُصدَّق.. ماذا تريد منهما؟.

-التصديق يتعلق بطبيعة كل شخص لكن المنطق يشترك فيه كل إنسان.. أعطنا المنطقي الذي لا يُصدَّق.

- الضحايا ماتوا بطريقة ميتافيزيقية فمن المنطق أن يكون السبب شيئا ميتافيزيقيا وليس كل الناس تُصدِّق الميتافيزيقا...

-والتفسير الآخر؟

-لن أخبرك به فهو أمر سِرِيٌّ للغاية.

-لماذا وضعته خيارا أمامي إذًا؟ ألم تكن تخاف من أن أختاره؟

-لا ، لمست في نظراتك ذكاء لا بأس به فأردت استغلاله لأتجنب كشف أسراري، جميع العقلاء يختارون اتباع المنطق على اتباع حدس تصديقهم، حتى وإن قلتَ أن بالمنطق أقرر هل أُصدّق الشيء أم أكذّبه فهناك من يخطئ في تطبيق المنطق فيخرج بنتيجة خاطئة يصدقها.. دعنا من هذا فحتى لو

اخترت الشيء الذي يُصدَّق والغير منطقي فسأعطيك نفس الإجابة لأن الميتافيزيقا شيء غير منطقي لكننا نؤمن به.

-هههه لا بأس بك.. بهذه الطريقة التي تتبعها لن نستطيع أخذ أي اجابة منك.

(شعرتُ بالملل من هذا الحديث فبادرت أنا بسؤال) :

-أخبرني يا ساري، (أخرجت نصلي الفضي وبحركة خاطفة وضعته على رقبته من الخلف) كيف تحمي نفسك من شخص ما أراد قتلك.

-ألم أقل لك أنك غبي، غبي للغاية.. لو علمتُ أنك تنوي قتلي حقا لما كنتَ حيا الآن.. اممم وهذا النصل الفضي ماذا تفعل به؟ أعرف أشياءً تُقتَل بالفضة.

(ارتعدت مفاصلي ، لقد تهورت بخطوة لا لازم منها، وأمام من؟ أمام شخص هزم زينو بذكائه.. علمت الآن أن الشيء الذي سينقذني من هذا الموقف هو الصدق، الصدق فقط) :

-أحمله معي لقتل الأشياء الميتافيزيقية لو ظهرت أمامي.

-جيد أنك اتخذت الصدق طريقا لك، مع غبائك هذا يستحيل أن تكونَ من أبحث عنه، على كل حال أنزل سلاحك وإلا غيرت رأيي..

وسط الدهشة التي غمرت المكان سأله عبد الجليل قائلا :

- هل هناك من تبحث عنه؟

- هناك أشخاص كُثُر. (سكت قليلا ثم أكمل :) بما أنكم تكبدتم عناء السفر وفيكم شخص ذكي وآخر شجاع فسأعطيكم سرا حَرِيٌّ بكم أن لا تخبروا أحدا به.

- زينو : لا تقل أنك تتبول في فراشك ليلا.

ضحك ساري طويلا حتى أدمعت عيناه وعندما التقط أنفاسه قال :

-هه.. هه.. هه لا. لا.. من خلال بحثي المتواصل اكتشفت أن مجموعة فلسفة مريض نفسي مليئة بالطيبين والأشرار، اللصوص والقتلة، عصابات واستخباراتيون، ولا أستبعد أن تكون مملوءة بالجن هههههه.

كأن هذه المعلومة ستكون ذات فائدة لنا.. ودعناه ونحن نادمون على زيارته بالمرَّة.. أضعنا وقتا طويلا هنا ولم نلحظ الشمس وقد أصبحت قرصا أصفراً يوشك على الغروب.

***

- عادل اسم عربي بمعنى الرجل المطبق للعدل، لكن ما أدرى هذا الأمريكي بمعنى الاسم الذي اختاره؟.. في اليوم الموالي خرج من تلك الغرفة فوجد الرجال ينتظرونه، كلهم مستعدون لتنفيذ الأوامر، شيء بعث في نفسه الهيبة فراح يقول :"أحضروا ذالك العميل إلى هنا، سنطبق الخطة (أ)".. ذهب رجلان إلى أحد الغرف وأتوا به، وجهه شاحب من شدة الجوع والعطش

وجسده هَزلَ من شدة الألم.. ربطوه إلى ذالك العمود بحبال خشينة تجرح اللحم ، اقترب منه عادل وقال :

- عدنا مجددا ، هذه آخر فرصة لك.. قل لي أين أخذت العباس؟

- ما.. م.. مااء.

- أحضروا بعض الماء لينطلق لسانه.

أتى أحدهم بكوب ماء يجري نحوه ثم وضع حافته بين شفتي عبد الجليل ورفعه ليسقط نصف الماء على ملابسه والنصف الآخر في أمعائه.. بدا على ملامحه بعض الانتعاش فقال له :

- الان أظنك تستطيع التكلم والاجابة عن سؤالي.

- هه.. هه.. هههه أنا لا أعطي شيئا لا أريد إعطاءه.

أخرج عادل المسدس من جيبه وأفرغه في رأس عبد الجليل دون أن يرف له جفن وقال :

-تخلصوا منه.. الخطة (أ) فشلت.

أشار إلى رجل من هؤلاء الرجال وأمره بالاتصال برفاقهم في أدرار لينفذوا الخطة (ب).

في منزلي يجلس أبي قرب التلفاز وقد عاد من صلاة المغرب لتوّهِ بينما أمي تُعدُّ بعض الشاي كالعادة في هذا الوقت.. بعد دقائق تنتهي من تحضيره فتضع

كأسين على مائدة ومعه ذالك الإبريق تكاد الرغوة تسقط من فمه، ثم بعض البسكويت لن يضر أحدا.. تذهب قربه حيث هو جالس على الحصير فيتحدثان عن ما حصل معهما اليوم ويلقيان بعض النكت ويتذاكران الماضي إلى أن تؤذن العِشاء فيذهبان للصلاة ثم يعودان لقراءة القرءان الكريم.. هذه حياتهما ولا يمانعان في أن يموتا عليها، روتين واحد لكنهما أبدًا لا يملانه، فلتذهب التكنولوجيا للجحيم ، جلسة قربهما تنسيك كل همومك فتقول أنهما في غاية الراحة لأنهما أعطوك الراحة، لكنهما يحملان هم الأولاد، قلبهما منفطر على فراقهم، يعطون الراحة وهما في حاجة لها، عندها تدرك أن فاقد الشيء يعطيه.. اذا كان همك مالا فليست وجهتك هنا عندهما لأن فاقد الشيء لا يعطيه.. الأشياء المعنوية يولدها الإنسان لغيره حتى وإن لم توجد في داخله وأما الأشياء المادية لا تستطيع اعطاءها لغيرك إن كانت يداك منها خالية..

حيث هما جالسان يضحكان ويشربان الشاي ، هناك ابنة خالي زُهرة أرسلها أبوها إلى منزلنا لتحضر بعض الأغراض.. فجأة ضُرب الباب بقوة حتى كاد ينخلع من مكانه وراح أبي تجاهه يقول :" أنا قادم ، لا تستعجل"؛ عندما فتح الباب وجد ثلاثة رجال مسلحين وهناك في الشارع سيارتان يتضح أنهما ملكهم.. وجَّه قائدهم المسدس باتجاه أبي قائلا :" نادي على زوجتك، ولا ترتكب أية حماقة كي لا تتأذى"، فما كان من أبي المسكين إلا أن رضخ لأمرهم، ليست له طاقة عليهم، خصوصا بعد تقدمه في السن وضعف بصره. يوجهون السلاح نحوه فأرعبوا قلبه الضعيف ، لو كنت هناك لقسمت ظهورهم. بينما أمي سمعت نداء أبي وأتت قادمة نحوه دخل أحد الرجال وأمسكها من

يدها يريد الاسراع بها فضربه أبي قائلا :" لا تلمسها". أراد ذالك الرجل استرجاع شيء من كرامته بإطلاق النار على أبي لكن رفيقه زجره قائلا :" نريدهم أحياء".. قبل أن يصعدوا للسيارة رأتهم زهرة القادمة من بعيد فحملت حجارة ترميها عليهم واحدة تلو الأخرى " توقفوا.. توقفوا" ، رفع ذالك القائد المسدس باتجاهها وأطلق فأصابت الرصاصة صدرها، سقطت على الأرض والدماء تغمرها. رأى والداي ذالك المشهد وأرادا الصراخ لكن الرجال وضعوا لاصقا على فمهم. أصعدوهما السيارة وانطلقوا بعيدا عن الموقع.. من جهة أخرى لاحظ خالي تأخر ابنته فذهب لبيتي يسأل أبوي عنها وعندما تبقت عشرة أمتار للمنزل وجد ابنته على الأرض ملطخة بدمائها مغشي عليها، لم يصب الخال بمثل هذا الرعب في حياته، حتى عندما سمع خبر اختفائي، بالطبع فهذه ابنته قبل كل شيء.. واراها بقميصه ثم صرخ بأعلى صوته على أبناء الحي فظهر بضعة رجال من منازل متفرقة يسألونه عن الذي حصل فقال :" أريد سيارة، أريد سيارة، ابنتي، ابنتي" ، البكاء منعه من اكمال كلامه، لن يحتاج لهذا فالكل رأى زهرة القابعة هناك والدم يظهر من تحت الرداء.. أظن أن الأوغاد وضعوا كاتما للصوت كي لا يسمع أحد الطلق الناري في حالة ما اضطروا لذالك.. حملوها للمستشفى وهناك أخرجوا الرصاصة من صدرها وخاطوا الجرح، بعد ساعتان خرج الطبيب من الغرفة ليجد خالي أمامه يسأله عن حال ابنته فقال له :" فعلنا اللازم والباقي تقدير من الله." طلب منه البقاء بجانبها فوافق له.. قضى الليل بطوله وهو ينتظرها أن تستيقظ، في الصباح عاد لبيته ينظر في صورة زوجته المتوفية ويقول :" اااه يا زوجتي، رحلتي في سن مبكرة.. انتحرتِ وتركتني مع طفلتي الصغيرة أواجه

أحزاني.. هذه طفلتنا قد كبرت وكادت أن تصير في مثل سنك وأنا خائف من أن تتركني مثلما تركتني أنت، ماذا أفعل؟.. يا إلهي ساعدني" ثم سقط على الأرض باكيا، ذالك الرجل الكثير الغضب! رجل يهابه سكان الحي كلهم، الآن ظهرت مشاعره ، ظهر ما كان مخفيا خلف تلك القسوة، جرح كبير لم يندمل.

((بعد يوم وصلوا بهم إلى ورقلة حيث مقرهم القديم فتركوهم هناك مسجونَين كرهائن ووضعوا عليهم ثلاث رجال للحراسة.. هذه كانت الخطة (ب) على ما أذكر، هل قتلوا عبد الجليل؟.))

***

سيرة يحيى : - ج 03 –

في ليلة ذالك اليوم صارحني زينو بكل شيء، علمه بلحاقي بالعباس واهتمامه هو أيضاً بهذا الفتى ومعرفته المسبقة به وأن هناك عصابة تطارده.. سألته من أين يعرف العباس فأجاب :"من أعز أصدقائي على الفيسبوك، صحيح أن هناك فارقا كبيراً في السن بيني وبينه لكن عقليته تفوق سنه". وأراد مني الذهاب معه للتأكد من سلامته حتى صعوده الحافلة فوافقت على ذالك.. وعندما وصلنا المحطة وجدنا شخصا ما يريد قتله فتدخل زينو في الوقت المناسب وأنقذه.

بعد يوم وبينما كنت في عنابة أستعيد عافيتي من طول السفر ذاك، دخلت الفيسبوك - لم أعد أتصفحه إلا نادراً - فوجدت منشورا للعباس – وقد عاد من غيبته – يقول فيه :" أهلا بكم اخوتي، أظنكم نسيتموني!" ، أحسست أن

المنشور سيتجاوز المائتا تفاعل وهذا ما أخافني عندما رأيته وقد وقَّع بكلمة "golden" ، سيعلم بأمره أناس كثيرون وسيخسر الجنس البشري المعركة قبل أن تبدأ حتى.. لا أريده أن يعلم أني على علم بأمره لذالك لن أرسل له رسالة وإنما سأكتفي بتعليق يصرف تفكير الناس؛ فكتبت "ماذا تقصد بالڤولدن؟ ".. ليتني لم أعلق فقد زدت الطين بِلّة.. بعد هذا اليوم لم أدخل إلى الفيسبوك مجددا إلا بعد ثلاثة أسابيع لأني كنت مسافرا نحو إليزي - أعطاني زينو مالا كهدية حتى دون أن أطلب - ، هذه المرة لن أعود قبل أن أجد ما كنت أبحث عنه قبل عام.. بعد وصولي إلى هناك قضيت أياما في البحث المتواصل إلى أن أتى يوم والتقيت فيه بالمرشد السياحي نفسه وأخبرني أنه لم يذق طعم النوم الهنيء منذ عام.. هذا هو الحوار الذي دار بيننا :

- هل تذكر آخر ليلة قضيناها هنا؟ بعدها مباشرة في الصباح عملت مرشدا لسياح آخرين وبدوت كالأبله.

-ماذا تقصد ؟ هدئ من روعك وتكلم بهدوء.

-أردت أخذهم عبر الآثار وإرشادهم للطرق المهمة لكني تهت معهم بين الحجارة، نعم حجارة، هذا لفظ مناسب لها.. كانت كل المعالم تغيرت، حتى النقوش على الجدران اختفت، أصبحت مدينة - سيفار - خاوية المعنى.. انخفض عدد الزوار بنسبة 90٪.

- تعني أن هناك شيئا ما حصل في تلك الليلة؟

- نعم، عندما عدت من عملي ذهبت إلى حيث أقمنا ثم قدَّرت موضع خيمتنا وتبعت الاتجاه الذي ذهب فيه صديقكم ذاك، على بعد 50 مترا كانت هناك آثار حَفر وبقايا جلد مرمية هناك..

- هل تخلصت من الجلد أو دفنت الحفرة؟

- لا ، انتابني رعب بدون سبب وهربت تاركاً كل شيء كما هو.

-جيد، خذني إلى ذاك المكان لأراه بنفسي.

-سأوصلك إلى مكان الخيمة وأعود، لا أريد الذهاب مجددا لتلك المنطقة.

عندما وصلنا هناك انهمر عليّ سيل من الذكريات، شحوب وجه زكريا وتغير تصرفاته ودخوله عالم السحر، أرجو أن لا تكون النتيجة التي تدور في رأسي صحيحة.. بعدما تركني المرشد بمفردي قدّرت الاتجاه الذي سلكه وانطلقت في خط مستقيم كي لا أتوه، كنت أضع بعض الحجارة خلفي ظنًّا مني أن الطريق ستكون طويلة خلاف ما وصفها المرشد ولكن بعد دقيقتين وجدت نفسي أمام حفرة ليست كبيرة، واضح أنها حفرت بالأيدي لا غير، عام كامل لم تدفن!!، حفرة قرب صخرة شاهقة تحفها بعض الجلود الممزقة. مددت يدي أحمل أحدها لكن هزة أرضية أسقطتني أرضا، زلازل في جنوب الجزائر؟!.. في نفس اللحظة رأيت ثلاثة أشياء تنزل من السماء ببطء كأنها أجنحة مروحة تحمل شيئا بيدها وتدور.. سارعت بالاختباء خلف أحد الصخور القريبة لأشاهد ماذا سيحصل. ببطء؛ ببطء ، عندما لامست الأرض علمت ماهيتها، ثلاثة وحوش : قط حجري يقف على قدميه الخلفيتين ويده

ممدودة للأمام، لو كنتم تعرفون (باستت) لأرحتموني من الوصف. والثاني نار زرقاء تراها جليَّة في ضوء النهار والثالث سائل لزج واقف على الرمال ولم تلتصق به حبة واحدة!! الأمر شبيه بأن تخرج وحوش ألعاب الفيديو إلى الواقع. على كلٍّ فهذه الوحوش لا تخيفني، الأهم هو ما تحمله في يدها، كتاب المعرفة الذي قضيت ست سنوات أجوب الولايات بحثا عنه، ارتبطت الأحداث في عقلي الآن، بينما كنا نشرب الشاي في تلك الليلة وزكريا في الخارج يقضي حاجته؛ وجد الكتاب وفتحه ليقرأ ما فيه ففهم وأخفاه بين حاجياته ، هذا هو السبب الذي جعله يتغير؛ لكن كيف استطاعت هذه الوحوش استعادته منه؟ هل مات في حادث؟ سأعرف الاجابة عند عودتي إلى عنابة، أمَّا الآن فكيف أحصل عليه؟.. قامت الوحوش بدفنه ثم أرادت الانصراف لكن الكتاب أضاء من تحت الرمال بضوء أقوى من الشمس، ضوء أنار الموجودات كأنها كانت ظلماء، ضوء لا فرق عنده بين ليل ونهار.. أدارت الوحوش رؤوسها ببطء كأنها عقرب ثواني، ثم أضاءت عينا القط أو تمثال القط بضوء أحمر.. وبصوت غليظ خارج من أعماق الجحيم قال :**"انتبها.. يوجد ڤولدن هنا"**

-كيف اكتشف أمري؟! عليّ التصرف بسرعة وإلا ضاع مني الكتاب. لحسن الحظ أمر القط ذالك السائل بالبقاء لحراسة الكتاب ورحل هو مع تلك النار.. هذا السائل ثقيل الحركة وسأستغل الفرصة.. تحسست جيبي فوجدت حجرة متبقية، سأخدعهم كي يبتعدوا قليلا عن مكان الحفرة ليتسنى لي حمله، إن فشلت خطتي سيضيع تعبي سُداً، رميت الحجر في

السماء بحيث يسقط على صخرة بعيدة كي يظن أنني مختبئ خلفها، نجحت الخطة وذهب ليتفقد تلك الصخرة وأنا أجري بكل ما أوتيت قدماي من قوة نحو الحفرة تلك ، عندما وصلت بدأت أحفر بسرعة جنونية، عندما لمست الكتاب لمحت بنصف عيني ذالك السائل لاحظ أني هناك، بيننا مسافة 20 مترا وقطعها في لمح البصر، لم يحتج لثانية حتى، لحسن حظي أني لمست الكتاب عندها ثم حملته وضممته الى صدري، نظرت إلى السائل لأجده غاضبا خائفا يكاد ينفجر غيظا، مزيج من غضب وخوف يجعل قلبك ينفطر لكن من يهتم لأمر وحش؟.. من العدم ظهرت نار أحرقته شيئا فشيئا حتى تلاشى كليا ، هذا أفضل، أستطيع أخذ راحتي في القراءة، نزعت عن الكتاب الجلد الموضوع عليه وفي قطعة منه لمحت بقعة زرقاء كنت أراها كثيرا على كتف زكريا ؛ هذا الجلد جلده!، بالكاد قاومت الرغبة في القيء.. ليس وقت التباكي ، فتحته وإذ بخطوط وأشكال مرسومة بالدم لكل منها معنى وعندما توضع قرب بعضها تعطي جملا وفقرات، في حياتي لم أرَ مثل هذه اللغة لكني أفهمها بسهولة.. في الورقة الأولى كتب ما معناه - كتاب المعرفة -، قلبت للورقة الثانية : " جزء خاص بجانب النجوم".. ثم للورقة الثالثة :

"" نحن سكان جانب النجوم نعاهد عالم الجن على الالتزام بكل ما جاء في هذا الكتاب من اتفاقيات.. فتحت سبع بوابات وتبقت بوابة واحدة لم تفتح بعد هي بوابة الڤولدن، تنتهي صلاحية هذه الاتفاقية بمجرد فتحها.. اتفقنا على أن لا نقتل بشريا بريئا وأن لا نفشي سرًّا إلا للڤولدن ، ولا يقتل بعضنا بعضا. واتفقنا على وضع ثلاثة قواعد ذهبية بشأن فتح البوابة الأخيرة ومن يخرق أي قانون من هذه المعاهدة فلتحل عليه لعنة النار الحارقة ""

قلبت للورقة الرابعة :"جزء خاص بعالم الجن".. رحت للورقة الخامسة مسرعا فوجدت :

"" نحن عالم الجن نعاهد سادة جانب النجوم أننا قبلنا شروطهم كلها وأمَّا شروطنا فهي وضع تعاليم السيطرة علينا – نحن الجن – من قِبَل البشر في هذا الكتاب، وأن نساعد الڤولدن إن قَبِل مساعدتنا ومن يخرق أي شرط من المعاهدة فلتحل عليه لعنة النار الحارقة ".

انتابني ضحك هستيري بعد أن بدأت الأسرار تكشف أمامي، قلبت للورقة السادسة :" الاختبار النهائي " ثم السابعة وجدتها فارغة، هل هذا يعني أن الاختبار لا يعرفونه حتى هم؟؛ قلبت للثامنة وإذ بها معلومات عن الڤولدن وحارسه، ثم للتاسعة فوجدت طقوس استدعاء الجن.. أما العاشرة فكان عنوانها :"النار الحارقة".. ما إن قرأت العنوان حتى بدأت الأوراق التي قرأتها في الاحتراق، قلبت الورقة مسرعا كي أقرأ عنها ، رحت أقرأ مسرعا :

"النار الحارقة هي زعيمة جانب النجوم وتحب المرح، لذلك وضعت البنود الثلاثة الذهبية وأمرت بالالتزام بها حتى لو كلَّف ذالك....."

لم أكمل الجملة حتى وصلت النيران والتهمت الورقة وباقي الأوراق المتبقية، لم أعلم السبب، لماذا لم يحترق الكتاب بين يدي زكريا ؟ أم أن الڤولدن فقط غير مسموح له بقراءة الكتاب؟ على كلٍّ فقد انتهت مغامرتي عند هذا الحد، احترق الكتاب ولم أعرف ما هو الاختبار الذي لم ينجو منه أي ڤولدن.. بينما أنا عائد أدراجي وعلى بعد 10 أمتار وجدت جثة المرشد السياحي مرمية خلف

احدى الصخور والدماء تصبغ الرمال، الغبي! تبعني ورأى كل ما حدث معي وعلم كل شيء ودفع ثمن المعرفة.. هذا أول شخص يصير قربانا في جعبتي..

***

عندما خرجنا من عند ساري أتت إليه زوجته سناء وقالت :

- لماذا لم تفشي لهم أي سر ؟

- شممت فيهم رائحة الاستخبارات، وبالطبع لن نفشي سرا لأي جهات أمنية، لا نريد أن نلبس ثوب الأبطال بعد.

- حسنا.. كانت المنظمة قد كلفتنا بمهمة البحث عن أفراد العصابة، لكن بعد بحثي توصلت إلى أن 90٪ منهم موجودون في الجزائر؛ هل سيسافرون لهم أم ماذا؟.

- لا أدري ، المهم أن نرسل المعلومات اللازمة إلى بقية الأعضاء وما تبقى يقع على عاتقهم..

(بدأوا في المشي على طول ذالك الرواق وساري يكمل كلامه) :

-بعد زواجنا سقطت عن ظهرنا الكثير من المهمات، أصبحنا تقني المنظمة وأخذ الباقون شرف العمل البدني.. لذالك فهذه المهمة الموكلة لنا لا تحتاج جهدا، أليس كذلك يا زوجتي الحبيبة.

(وصلا إلى نهاية الرواق فاستدارا ليُكشف لنا ذالك الجانب الغامض وما فيه، غرفة صغيرة جدا بأبعاد 2×3 وليس لها باب، تحوي حاسوبان وشاشة متوسطة الحجم معلقة على الجدار، هذه الأجهزة الثلاثة تكشف مكان أي شخص على وجه الكرة الأرضية.)

- نعم يا حبيبي، فلدينا مهمة أهم من البوراي.

- يجب أن نكتشف ونتخلص من الذهبيان (الڤولدنان).

عند غروب الشمس أخذَنا عبد الجليل إلى فندق يعرفه لنقضي الليلة فيه.. عندما وصلنا حجزنا غرفة في الطابق الثاني، لا بأس بها، أريكة وسريران وتلفاز.. بعد أن صلينا المغرب أتانا اتصال من عند الرئيس فرد عبد الجليل عليه :

-آلو.. لديكم أمر من عند الرئيس.

- أنا أسمعك.

-من معي؟ أسمع صوت عبد الجليل؟. ألم تمت منذ زمن؟

- هههه لازلت حيا.. في ما بعد، الان أخبرني بالأوامر.

- المهلة التي أخذناها من عند أبوي العباس قد انتهت ، عليكم العودة غدا صباحا في أول طائرة.

-للأسف.. سأوصل إليهم الأوامر ، أبلغ تحياتي إلى الفريق.

أنهى الاتصال ثم نظر باتجاهنا وقال :

-عليكم العودة في الصباح، انتهت عطلتك يالعباس.

ضجرت من هذا الكلام وقلت :"- طيب.. حتى أنا اشتقت لوالدي".. أوصلت خيط التلفاز بالمقبس فاشتغل التلفاز على قناة إخبارية - أكثر نزلاء الفنادق يحبون متابعة الأخبار -، ظهر أمامنا في الشريط السفلي خبر عاجل : " ارهابيون مقنّعون يحتجزون رجلا وزوجته كرهائن ويطالبون ابنهما بالظهور وإلا سيقتلونهم" ، لم نعر اهتماما كبيرا لهذا الخبر ولكن زينو كان يتصفح الفيسبوك بهاتفه فقال لنا في نفس اللحظة :"هناك شيء خطير قد حصل" أدار شاشة هاتفه نحونا وضغط لمسة بدأ الفيديو.. هذان أبواي مقيدا الأيدي ومكممما الأفواه!! ، ظهر رجل مقنع من الخلف وقال :" إن لم تظهر يالعباس في الأربع والعشرين ساعة القادمة فسأقتل أبويك" ؛ لم أمسك نفسي من شدة الغضب والحزن والخوف ، مشاعر مختلطة أوقفت عقلي عن العمل، العالم كله يشاهد الفيديو ومتضامنون كثر رفعوا على مواقع التواصل الاجتماعي هاشتاغ (#أنقذوا_عائلة_العباس).. توقعنا أن تأتي أوامر جديدة من عند أخي لكن لم يرن الهاتف أبدا، قال عبد الجليل وقتها : "الأوغاد، لازالوا يبحثون عنك!!". كنت قلقا عن ماذا سأفعل عندما أصل ، آمل أن جميلة ستجد موقعهم وطريقة للاتصال بي، أين أنتِ يا فتاة؟ هذه المرة نحن في ورطة أكبر من تلك الماضية، ليتني لم أغلق حسابي على الفيسبوك.. هذه الليلة ستكون الأطول في حياتي كلها.

حل الصباح بعد ليل مرير ورحنا للمطار نصعد الطائرة وبينما نحن كذالك وإذ بي أتذكر – رسل – وهي تنزل من الحافلة، فتاة صغيرة التقيتها هنا قبل شهر ماتت في تحطم الطائرة.. ليت الطائرة تسقط مجددا لأموت وأرتاح، لا لا، ما هذه الأفكار التي تدور في رأسي! سأنقذ أبواي أولا ثم سأنقذ العالم وأكشف الأسرار كلها، لا أريد أن أموت قبل أن أنفذ كل هذا.. بعد 10 ساعات وصلنا للجزائر ، يعني في حدود الرابعة عصرا، ذهبنا مباشرة إلى المقر فوجدنا الرئيس في استقبالنا وملامحه غير قلقة رغم أن أبواه في خطر.. نظر إلى عبد الجليل وقال :

-الحمد لله على سلامتكم. كيف كانت رحلتكم.

- نحن بخير يا سيدي.. كيف هي الأوضاع عندكم؟

-تحت السيطرة تماما.. تفضلوا وسأشرح لكم كل شيء.

دخلنا لغرفة العمليات فوجدنا ترتيب الحواسيب قد تغير بحيث أصبحت على شكل نصف دائرة كبيرة فقال :

-تبقت خمس ساعات تقريبا لتنتهي مهلة الأربع والعشرون ساعة.. سنرد عليهم بفيديو لنكسب الوقت ريثما نعيد العباس إلى منزله.

أعجبتنا الفكرة أنا وعبد الجليل لكن زينو ظل صامتا يفكر فانتبه الرئيس لهذا وعلم أن هناك شيئا ما نسيه فوجه كلامه إلى هذا الأخير قائلا :

-ما بك يا مخطِّطَنا؟ هل لديك خطة؟

-أريدك على انفراد (عندما قالها هز الرئيس رأسه وخرجا من الغرفة وتركاني داخلها مع العملاء الآخرين) هناك حلقة مفقودة.. أخبرني الضابط أن – نذير بهلول – رئيس العصابة الماضي كان صديقه، قلت له :"صفه لي كي نعلم صفات أتباعه ونقط ضعفهم" فقال :" منزوع الرحمة لدرجة لا توصف، تراني حازما ولا أحب المزاح لكن أمامه أبدو كالحمل الوديع.. رغم كل هذا يعجبني فيه شيء وهو : لا يأخذ الرهائن، إما أن يترك أو يقتل، لا يوجد شيء وسط".. مات نذير ، قتلته بيدي لكن بقي بعض أتباعه وهم الآن يختطفون رجلا وامرأة لاحول لهم ولا قوة..

- تفكير منطقي.. ربما ترأسهم شخص آخر.

- شخص غريب عنهم ويجبرهم على تنفيذ الأوامر.

- من عساه يكون؟

-زينو : أمريكا بالطبع أرسلته. مخابراتي أمريكي ليبقى كل شيء سريا.. في رأيي أن نغير الخطة يا سيدي.

- الرئيس : هل لديك واحدة أفضل؟

- أولا لن نجازف بتصوير فيديو يراه كل الناس، يكفينا أن الرهائن خرجوا للعلن ولن نشهر بالعباس أيضاً. ثانيا نحن نعرف مقرهم هنا في العاصمة بسبب المعلومة التي أعطاها لنا أحمد. ثالثا سنحاول اجراء مبادلة الرهائن، سنعطيهم العباس ويعطوننا أبويه.

- ماذا تقول! أولويتنا هي حماية جميع الأرواح، هل نسيت هذا؟

-الضحايا الخمسة عشر والتقائي بأحد أعضاء البوراي غيَّر كثيرا في قناعاتي، هناك تفسير واحد لكل هذه الضحايا، ربما قد تضحك من استنتاجاتي لكن ما أود قوله هو أن أسطورة الثولدن حقيقية.

ابتسم الرئيس بطرف فمه وقال :

- هذا ما فكرت فيه أنا أيضاً.. ولكن ما دخل هذا في تسليم العباس؟

-ما دمت فكرتَ في الشيء نفسه فما خطر الآن على بالك هو ما أفكر فيه.. أشك أن العباس هو الثولدن ولو كان شكي في محله فإن البشرية على حافة الخطر.

- ماذا تقترح أن نفعل لو كان هذا صحيحا؟

- الأسطورة أمريكية وأظن أن المخابرات الأمريكية خمنت كل ما قلناه الآن، طفل اخترق أنظمتها ثم خمسة عشر ضحية تسقط دفعة واحدة.. أراهن أنهم أرسلوا شخصا منهم لينهي هذه الأسطورة.. نحن عندما نسلِّم لهم العباس سنراقبهم بعد ذالك، إن قُتلوا بعد أن يروه فالعباس هو الثولدن وعندها سينجو العباس وننقض نقتل البقية منهم ، وإن لم يُقتلوا فسننقض عليهم وننقذ العباس من بين أيديهم ونعلم عندها أن العباس ليس الثولدن.. في كلتا الحالتين سنضرب عصفورين بحجر.

- خطة محكمة ، لكن تبقى شيء واحد : سيأخذون احتياطاتهم ، سيقتلونه بسرعة قبل أن تقتلهم تلك الأشياء.

- الأشياء الميتافيزيقية تفوق البشر في كل شيء، ولا تقلق فسنأخذ نحن أيضاً احتياطاتنا ونسبقهم بإطلاق الرصاص.

- لازلت أرى ثغرات ولكن لا بأس من التجربة ما دمنا سنضرب عصفورين بحجر.

- ما رأيك أن نحضر أبرع وأسرع قناصين عندنا لينفذوا المهمة.

- فكرة سديدة.. سأبلغ رئيس الشرطة أن يصور فيديو وينشره..

عاد الرئيس و – زينو – إلى الغرفة ليعرضا الخطة علينا، رفض عبد الجليل تعريض حياتي للخطر ولكني وافقت أنا وأصررت على المهمة، سأسلم نفسي لأنقذ أبوي..

(زينو فكر في كثير من الاحتمالات وفكر أيضاً في أن هناك اثنان من الڤولدن كون ثلاثين ضحية قد قتلت وأن العباس إن كان ڤولدن فستحل اللعنة على البشرية عندما يموت أولئك الرجال كقرابين، لهذا لم يخبر الرئيس بهذا الجزء ،وخطط لشيء آخر سرا وهو **قتل العباس إن كان ڤولدن**)

***

منظمة البوراي :

قبل خمسة عشر سنة اجتمع مجموعة من الشباب وشكلوا منظمة لحماية الأبرياء، لم تكن لديهم معدات أو ما شابه لكن لديهم ماهو أهم من المال وهو : (الذكاء) سيستعملون ذكاءهم في توليد أفكار يمكنهم تطبيقها.. هكذا بعد ثلاث سنوات أُنشئت شركة فيسبوك واستطاعوا الترويج لفكرتهم على نطاق أوسع.. بعد سنتان أُخَر كان عددهم قارب المائة شخص وفي نفس الوقت قرروا وضع اجتماع عبر خاصية الفيديو ، وضعوا لأنفسهم مهمة جديدة وهي اختراق بنوك أجنبية وسرقة الأموال ووضعها في حساباتهم ، نجحوا في هذه المهمة دون أية مشاكل.. بعد شهر أجروا اجتماعا آخر يقتضي تتبع عصابة B.M ، قسموا المهام بينهم وفي ظرف ثلاثة أيام قضوا على نصف أعضاءها.. أشهروا أسماءهم ومعلوماتهم للعلن ولكن مهامهم دائما سرية للغاية.. منذ هذا العام توقفت تحركاتهم مدة عشر سنوات، لم يُسمع لهم صوت طول هذه المدة.. لم يدري أحد هل تفككت المنظمة أم هو هدوء ما قبل العاصفة.

مجموعة من الشباب فقط يفعلون كل هذا!! الأمر يثير الريبة لكن سيزول الشك ان علمت أن هؤلاء الشباب هم أذكى أشخاص على وجه القارة الافريقية، لا يضمون لهم سوى الأذكياء الشجعان.. صحيح أنهم سرقوا أموالا من بنوك لكن لازال السؤال قائما حول تمويل هذه المنظمة، عمليات ضخمة كتتبع أفراد عصابة ما وقتلهم يحتاج إلى معدات وأسلحة!! من يدعمهم؟ هل هي دولة أم شركة أم أم.. يبقى السؤال مطروحا، ربما لا يعلم جوابه حتى الأعضاء لأنهم لا يسألون كثيرا.. تسألني عن رئيسهم؟ هاهاها لا أحد يعرفه حتى الأعضاء ،المهم أن آخر اجتماع قرروا فيه القضاء على جميع العصابات الموجودة، يعني أن أهدافنا التقت وهذا يعطينا دعما أكبر.. أحد

أعضائها هي فتاة تدعى حنين (بقايا حنين) وهي من مسؤولي مجموعتنا - لا أدري لِمَ فلسفة مريض نفسي تضم جميع البشر المهمين - تروي لكم قصة الاجتماع الأخير :

أنا حنين من مواليد 1988 أسكن في أحد أحياء القاهرة مع عائلتي المكونة من 4 أفراد. أنا وأختان وأخ أكبر منا يعمل في الشركة وهو متكفل بمصاريف البيت، لم يشأ الزواج لكيلا يتركنا وحيدين، والدانا توفيا في حادث سيارة قبل ثمان سنوات.. ولدت بذكاء غير عادي جعلني أتفوق في جميع مراحل دراستي، صعدت الجامعة فدخلت تخصص الهندسة حيث الحسابات المعقدة والخيال الواسع ورغم هذا لازال كل شيء سهلا بالنسبة لي، بحثت عن أشياء تحتاج الذكاء بحيث تكون صعبة فلم أجد، الشطرنج والضامة ووو ،كلها لم أجد فيها ما يمتع عقلي. بعد أن ذاع صيتي أصبحت أتلقى رسائل إعجاب وحب من عند أشخاص كثر لا أعرفهم، المهم أنني عندما أجلس على طاولتي في القسم أجد في الدرج رسالة أو رسالتين، كل يوم يتكرر الشيء نفسه، لكن في ذالك اليوم كان الأمر مختلفا، رسالة موضوعة في ظرف أسود وعليها قطعة لاصق ذهبية، أنا معتادة على تمزيق الرسائل لكن هذه جعلتني أخبئها في محفظتي إلى أن أصل إلى البيت وأفتحها، شغلت بالي لدرجة أن هذه أول مرة يسألني فيها الأستاذ سؤالا لا أستطيع الاجابة عنه، اعتذرت منه بحجة أني مشتتة الذهن.. انتهت الحصة وبعد مشي ربع ساعة وصلت البيت – الجامعة ليست بعيدة عني – جلست في غرفتي والظرف الأسود بين يدي أزيل عنه اللاصق لتظهر ورقة بيضاء مثنية أربع مرات كتب عليها بالحبر الأسود رسالة :

"أهلا بك حنين، نعلم أنك تبحثين عن متعة الذكاء ولدينا ما قد يعجبك.. نحن منظمة البوراي ندعوك لتكوني عضوا منا، ربما قد سمعت بنا من قبل أو ربما لا، يمكنك البحث عنا في الانترنت وستجدين كل المعلومات اللازمة.. منظمتنا ليست سرية وهدفها واضح هو مساعدة الأبرياء، نرسل دعوات الانضمام لذو الذكاء فقط وأنت من ضمنهم، ستجدين ما يناسبك معنا، إن وافقت على طلبنا فأعيدي الرسالة حيث وجدتها وإن لم توافقي فمزقيها.. مع أطيب التحيات ".

عرض مجهول لا أستطيع التقرير فيه الا بعد بحث ممحص. أخرجت حاسوبي أتصفح الانترنت أقرأ عن هذه المنظمة، وقت تأسيسها، أعضاءها، أهدافها.. وفي الأخير قررت الانضمام مادام أن لا شيء سيتغير في دراستي. في اليوم التالي أعدت الظرف إلى مكانه وواصلت دراستي كأن شيئا لم يحصل؛ وعندما عدت للمنزل وجدت رسالة مفادها : " شرفنا قبولكِ دعوتنا.. ستأتيك رسالة أخرى بعد قليل تشرح لك كل شيء لم تجديه على الإنترنت".. غريب! من أين أتوا برقم هاتفي؟ هذه الرسالة مضت عليها ساعة فأين الرسالة الأخرى؟(ترن) هذا كان صوت الرسالة الأخرى!! هل كانوا ينتظرون قراءتي للرسالة الأولى حتى يرسلوا الثانية! هل هناك شخص ما في غرفتي يراقبني؟ فتحت الخزانة لأرى ما فيها فلم أجد سوى ملابسي، طبعا هي المكان الوحيد الممكن للاختباء.. عدت لهاتفي أقرأ الرسالة الجديدة :

" ربما أنت تتساءلين عن كيف عرفنا رقم هاتفك ووقت قراءتك الرسالة، لا تهتمي فهذه أمور تخص الأعضاء التقنيين في منظمتنا.. الأهم هو الشرح

التفصيلي الذي سنعرضه لك : أولا سنرسل لك رابط منصة خاصة بنا سجلي لها الدخول بهذا الرقم وانتظري بعد يومين هناك اجتماع سنقوم به وعليك الانضمام لنا، لن يستغرق أكثر من نصف ساعة.. ثانيا فكل ما أتى في الرسالتين يجب أن يبقى سريا جدا وما سيحصل في الاجتماع ينطبق عليه الأمر أيضاً. ثالثا إن خرقت أحد هذه القواعد سنعلم بأمرك مباشرة وستعاقبين.. وأخيرا الزمي الهدوء في الاجتماع ولا تتحدثي الا اذا طُلب منك ذالك.. تحياتنا ".

مر اليومان وبالي مشغول بتلك المنظمة وهل ارتكبت خطأ في الانضمام إليها وإن أردت المغادرة هل سيسمحون لي؟ آلاف الأسئلة تدور في رأسي لم أجد لها إجابات، اليوم ان شاء الله سينتهي كل هذا التفكير. أنجزت جميع أشغالي باكرا لأحجز ساعتين للاجتماع.. عند دخول الوقت المحدد أخذت هاتفي وولجت إلى المنصة الرقمية، كنت سجلت الاشتراك فيها منذ يومين ، ما إن دخلت حتى ظهر أمامي اشعار بأن الاجتماع بدأ توًّا، نظرت إلى الساعة وإذ بها السادسة تماما.. هؤلاء القوم مضبوطون كالروبوتات ، نسيت أن أسألهم عن امكانية دخول الاجتماع بدون صورة - يعني بالصوت فقط -، ارتديت حجابي وأغلقت خاصية الفيديو، ان لم يوافقوا فسيصدرون لي أمرا بتشغيل الكاميرا، هذا لم يحصل لحسن الحظ، بعد مدة انتبهت إلى أن عضوان آخران مغلقان الكاميرا أيضاً ومنهما الرئيس.. مر الاجتماع كله دون أن أنطق ببنة شفة، كنت أنصت إليهم فحسب وفي الأخير تحدث الرئيس إلي قائلا :" هل لديك تعقيب على ما قيل يا حنين ؟"، تلعثم لساني وقتها، ليس لأني لم أفهم شيئا وإنما لشدة احكام خططهم، ماذا سأقول وبماذا سأعقب؟ ، شددت

حزمي كي لا يبدو التوتر على صوتي وقلت :" لا تعقيب"، نطق الرئيس كلمة الختام منهيا الاجتماع.. خرجت من المنصة ونظرت للساعة وجدتها السادسة والنصف، وضعت هاتفي لأقوم بمراجعة دروسي قليلا فرنَّ ينبه على وصول رسالة، حملته مجددا لأقرأ : " أتمنى أن الاجتماع راق لك.. قررنا منحك مسؤولية حماية المعلومات الرقمية للمنظمة، سيأتيك حاسوب مجهز بكل شيء عما قريب، التعليمات اللازمة ستجدينها عليه.. لديك مهلة أسبوع لتعلم البرمجة، شدي حزامك خلال هذا الأسبوع، وبعده سيصير كل شيء سهلا.. نحن نثق في ذكاءك.. تحياتنا ".. أصعب أسبوع مر علي هو هذا، كمية معلومات لا توصف فهمتها وطبقتها وحتى طورت من بعضها ومقابل هذا أعطوني مبلغا زهيدا في نهاية الشهر.. أخبرت اخوتي بالأمر، مادام الأمر كذالك فسأتوقف عن الدراسة.

بعد أيام كثيرة وضعوا اجتماعا آخر قرروا فيه الآتي :" ستجمد الاجتماعات مدة عشر سنوات، سنجمع العتاد ونطور من منظمتنا، سنؤسس نظاما تعجز الدول عن تدميره.. بعد عشر سنوات سنلتقي مجددا، من بقي حيا سيرى الاختلاف الكبير ومن مات فقد وضع بذرة تنمو في الطريق، سنبني مستقبلا زاهرا للأبرياء.. "

***

سيرة يحيى : – ج 04 –

أسرعت نحو المواصلات وصعدت الحافلة، سأعود إلى عنابة فمهمتي انتهت.. في الطريق تذكرت شيئا، هناك ڤولدن غيري وعلي التعاون معه كي ننجح – أخرجت هاتفي – ياللهول! نحن في منطقة ليس بها تغطية؛ تحتم علي الانتظار أربع ساعات حتى عادت الشبكة، عندها كانت بطارية هاتفي فارغة، اتجهت نحو السائق لعله يضع لي هاتفي في شاحن الحافلة لكن لم يكن بها شاحن، سأنتظر مجددا حتى أصل.. في اليوم الموالي وبعد وصولي وضعت هاتفي في الشحن مدة ساعتين ثم ولجت بعدها الى الفيسبوك، إلى مجموعة فلسفة مريض نفسي مباشرة أبحث وأبحث عن الفتى ولم أجده، نظرت في صندوق الرسائل وجدته وضع لي تبريرا على تعليقي وحسابه محذوف الان أو ربما قام بحظري، للأسف ليس لدي مسنجر حتى أتأكد.. سألت أحد الأعضاء المشهورين فقال :" لقد أغلق حسابه منذ أسبوع"، الحق علي لأني غبت قرابة ثلاثة أسابيع.. كيف سأجده الآن ؟ عدت للصفحة الرئيسية وإذ بي أصادف خبرا من احدى القنوات الجزائرية يقول فيه : " 15 شخصا قتلوا في ظروف غامضة وبطريقة غير طبيعية، تقطيع وحرق..".. تبا ؟ هذا لا ريب من صنع الوحوش؛ هل انتهت قرابين العباس وفتحوا به البوابة؟ لو حصل هذا لعلمت به؛ ااه الجن تضحي بأحد أفرادها لتنقذ أحد الضحايا من أن يكون قربانا، نسيت هذا.. مر عليّ خاطر سريع، ألم يكشف العباس نفسه بذالك المنشور؟ ياله من غبي.

اليوم فقط استطاع أهلي الاتصال بي، أسبوع كامل وهم يحاولون ذالك، في الأخير كانوا يحملون لي خبرا مروعا، أختي بلسم وزوجها قد ماتا.. بلسم التي لم أرها منذ سنوات ولم أحضر حتى لعرسها ، توأمي التي قضيت معها أجمل أيام حياتي قد ماتت! لم أستوعب الأمر، كيف ماتت؟ هل كانت مريضة ولم أعلم بهذا؟ لو كانت كذالك لأخبرتني فهي لا تخفي عني أسرارها، مهلا! لم تمت بمفردها ، مات زوجها أيضاً! .. سألت أهلي عبر الهاتف فأبوا اخباري بأي شيء آخر.. علي الذهاب لأعلم. حزمت حقائبي وصعدت أول حافلة متجهة نحو وهران.

وصلت البيت وتبادلت القبل مع أهلي وأقاربي، لم أرهم منذ سنوات ، تغيرت ملامحهم كثيرا حتى أني لا أعرف متى هم غاضبون ولا متى هم فرحون، لا شك أنهم غاضبون مني لأني غائب طيلة هذه السنوات دون سبب، لا أهتم، سألتهم فقالوا أن أذهب لأعرف بنفسي، ذهبت بعدها مباشرة نحو منزل أختي ثم إلى غرفة الحادثة، جدران مطلية بالأحمر وقطع جلد لم يستطيعوا تنقيتها بسبب دخولها في الحائط من القوة التي رميت بها. أختي راحت ضحية لهذه المهزلة!! سأحاسبك على هذا يالعباس بعد أن أنتهي من تلك الوحوش البغيضة.. جلست وسط الغرفة واضعا يدي على رأسي أفكر في حل، حل لكل هذه المشاكل، أفكر والدموع تقطر على الأرض حيث أنظر، هل أجازف وأبدأ الاختبار؟ أم أنتحر وألحق بأختي! بقيت هكذا حتى نادتني أمي من الشارع : "أحد أصدقائك يريد مقابلتك".. مسحت دموعي ثم غسلت وجهي ورحت لباب المنزل أفتحه فضربني الهواء البارد، أغلقت باب المنزل من خلفي واستدرت لأجد آخر شخص توقعت رؤيته، شخص لم أره منذ خمس

سنوات.. " تغيرتَ كثيرا يا باسم" قلتها والدهشة تغمرني ، فأجاب " لم نلتقي منذ عام 2011، خمس سنوات كثيرة جدا"، تعانقنا لمدة طويلة، كصديقين حميمين لا ينسيان بعضهما مهما طالت الأعوام.. أخذته الى منزلي ثم إلى غرفة الضيوف وطلبت من أمي بعض الطعام.. رحنا نتجاذب أطراف الحديث :

-العزاء لكم وغفر الله لميتكم ورزقكم الصبر.

- سلمك الله.

- أعرفك عاشقا للأسفار والآثار القديمة، أظنك سمعت بحادثة موت 15 شخصا التي هزت العالم.

- واضح هذا ، ألم تكن أختي وزوجها من بينهم!! (غاضباً).

-لا تغضب، أنا أتدرج في الكلام لأوصل لك المعلومة، المهم، من بين هؤلاء الضحايا ضحية اسمه أحمد ويسكن في مصر، وجدوه مختلطا بسريره - بالمعنى الحرفي -، لم يميزوا بين الحديد واللحم، قالوا أن سلاح الجريمة بطول المتر والنصف متر ووزن يصل لثلاثة قناطر.

- ثلاثة قناطر لا تخلط اللحم بالحديد، بل لا تثني الحديد أصلا، الا ان كان الحديد ليناً.

- معك حق، هذه النقطة لم تفت المحققين، قالوا أيضاً أنها سقطت من مرتفع.

- أقصى ارتفاع لأسقف المنازل هو أربع أمتار، هذه المسافة لا أظنها كافية لثلاثة قناطر أن تفعل ذالك.

- ربما نعم وربما لا، المهم أنهم وجدوا تمثالا في مسرح الجريمة أتى به المرحوم قبل يوم ليتفحصه.. بعد أن فحصت الشرطة التمثال أعادته إلى مدير العمل، وأنا علمت بالأمر فاشتريته منه بمبلغ هائل.

- ماذا يستهويك في تمثال عادي لتنفق عليه مبلغا كبيرا؟

- لا أظنه عاديا.. تمثال صغير لأبي الهول وجدوه مدفونا تحت التراب، لا أظنه عاديا أبدًا.. منقوش على ظهره كلمة (OLD).

- تعني قديم بالإنجليزية، بالطبع لن يكون جديدا - بنبرة لامبالاة -.

-متى كان الفراعنة يكتبون بالإنجليزية؟

(انتصب الشعر على رأسي)

- باسم : وأيضا فهي مرسومة وسط مستطيل صغير على بطن التمثال وهناك مكان لحرف في البداية وحرفين في النهاية، هذا حسب تقديري.

- ههه ڤولدن.. هذه هي الكلمة.

- امم أسطورة الڤولدن.. فتى موهوب كل عشر سنين، ما دخل هذا في قضيتنا؟.

- ليس هناك دخل، ولا أظن أن هذا كله بالأمر المهم.. لو جئنا نتبع منطقك فكل ضحية ماتت بطريقة ما ولن تجد تمثالا عند كل منهم.

((وكأنه يريد من صديقه باسم تجنب البحث أكثر لكي لا يتعرض للأذى))

(دخلت أمي بمائدة عليها طعام فشكرتها وأنا أنظر في عينيها، لازال جرحها على فقد ابنتها عميقا، عميقا جدا)،

- باسم : حسنا ، تذكرت شيئا.. هل تعرف فتاة اسمها ابتسام كانت في مجموعتنا؟

- تقصد صاحبة حساب (ibtissem hd) ؟

- نعم يبدو أنك تتذكرها.

- في بدايات المجموعة كانت نشطة جدا، الأعضاء القدامى غالبا ما أتذكرهم.

- تلك هي، هل تعلم أنها كانت عضوة في عصابة B.M ولقت حتفها؟.

- لم أعد أستغرب من أي شيء، 15 ضحية كلهم من مجموعتنا.. نذير بهلول مؤسس فلسفة مريض نفسي هو رئيس تلك العصابة.. عدت أتوقع أي شيء.

- كيف علمت بهذا؟

- أنا وصديقي قتلناه في عين صالح ، أنقذنا فتى كان يريد قتله.

- جيد.. لكني سمعت أن العصابة لازالت نشطة.

- لا يهم ، لست هدفهم ولن يضرني أمرهم في شيء.

(أتاني اتصال من عند – زينو – فأشرت إلى باسم أني سأخرج من هذه الغرفة ريثما أنهي الاتصال وأن يعدّ البيت بيته)

- ضغطت زر الرد ليأتي صوت زينو من الجهة المقابلة :

- أهلا صديقي ، كيف حالك؟

(أكثر سؤال بدون فائدة هو أن يسألك أحدهم عن حالك، حالنا دائما بخير.. لكن هناك حال آخر قليلون هم من يسألون عنه)

- بخير.. الحمد لله على كل حال.

-العزاء لكم.. سمعت ما حصل لأختك وأحزنني الأمر كثيرا، إن وجدتَ الفاعل فأخبرني لأفجر رأسه.

- فلتسلم.. لست في مزاج يتقبل المزاح.. ربما سأسافر مجددا لكن لا أدري إلى أين.

-كل الأماكن التي تخطر على بالي تكون أنت زرتها من قبل.. أقترح عليك الخروج من الجزائر.

-هذا ما أفكر فيه، أنا محتار بين سوريا وتونس.

- لماذا لا تذهب إلى بلد أجنبي؟

- لا يروق لي.. إنس الأمر ، ربما نلتقي في القريب العاجل، لدي ضيف حاليا لذا أستميحك عذراً.

قطعت الاتصال ثم عدت للغرفة لأجدها فارغة، رحل باسم دون أن يودعني!؟.. حسنا، على كل فقد اتخذت قراري. لم يعد لحياتي معنى.. سأجازف وأجتاز الاختبار.

***

هناك في غرفة العمليات اجتمع جميع المخبرين ومعهم العباس ينظرون للشاشة الكبيرة المعلقة على الجدار وهي تعرض آخر خبر.. خطتهم كانت تسليم العباس وأخذ الرهائن، هكذا اتفقوا جميعهم ومنهم العباس نفسه. أول خطوة هي نشر خبر بأن العباس سلم نفسه للشرطة وستتكفل الشرطة بعملية انقاذ الرهائن.. هكذا اتصل العميل برئيس الشرطة يخبره بالأمر وقد تم التنفيذ على الفور.. الشاشة تعرض آخر خبر، شرطي يتكلم على المباشر يقول :" هذا الكلام الذي سأقوله يمثل دولة الجزائر ككل، العباس سلّم نفسه من أجل انقاذ والديه وستتم المبادلة حيث يريد الخاطفون ونرجو أن يتم الرد في أقرب وقت".. ابتسم الرئيس وقال :" سيقررون المكان والزمان ونحن سنعمل وفق ذالك"، هنا نطقت – خليلة – بعد صمت طويل قائلة :

- أيها الرئيس ، ألن يشكل هذا الخبر ضغطا على البلد؟ لن يهدأ الشعب وسيخرج في مظاهرات.

- تعجبني نظرتك الثاقبة وحكمتك يا خليلة، سيحصل ما قلتهِ تماما ولكن لن يطول الأمر حتى نقضي على الخاطفين ونظهر للعالم أن العباس وأبويه على قيد الحياة.. هكذا ستزداد ثقة الشعب بوطنه.

عادت خليلة لصمتها وهي تعلم بموهبتها أن الخطة فيها ثغرات كثيرة ومجازفة، ليس لديها خطة أخرى، هي لا تعرف وضع الخطط لكن تعرف نقدها.. آثرتْ الصمت لأنها عاجزة، عاجزة عن تقديم المساعدة للعباس.. عادت هي للصمت وعاد الرئيس يكمل كلامه :" من لديه سؤال فليتفضل"، عشرون عميلا لم يعارض أحدهم - لا أدري لِمَ تذكرت البرلمان -.. هؤلاء العشرون هم الأعلى رتبة، ولكل منهم عميلان أو ثلاثة تحت إمرته - بغض النظر عن الجالسين على الحواسيب - . تبقى أحمد الذي قُتل مؤخرا وعبد الجليل المفقود.. اختار الرئيس أمهر القناصين ليتمركزوا على بعد كيلومتر من الموقع وسيعلق كاميرا صغيرة وجهاز تعقب على ملابس العباس، وأيضا فهو يعلم بشأن ما حصل لزهرة لكنه لن يخبر العباس الا بعد انتهاء العملية.. رفع أحد العملاء يده وقال :" تذكرت سؤالا، لماذا لا نداهم مقرهم في العاصمة ؟" رددت عليه أنا ولم أنتظر الرئيس حتى يتكلم، فقلت :" نحن لا نعلم مكان الرهائن، وإن داهمناهم فسيقتلونهم لا ريب"، ابتسم عبد الجليل وربت على كتفي وقال :"سننقذك أنت أيضاً ، لا تقلق" ، قلت له بعين حازمة :"إياك أن تهتم لأمري، ان لم ينجوا أبي وأمي فلن أسامحكم".. انتهى الاجتماع وراح الجميع إلى الغرف يأخذون قسطا من الراحة.. عند خروجي مباشرة نادتني خليلة على انفراد وقالت :"بالأمس فقط كنتَ تعاني من تنمر الناس والآن صرت شابا يعتمد عليه. لا تدعهم يقتلونك فحياتك صارت الآن قضية

دولة وأيضا فزهرة لاشك الآن تنتظرك.".. تعجبت لأمرها من أين علمت بزهرة ثم تذكرت أني في مقر استخبارات ولا مكان للأسرار هنا، ضحكت لها وقلت :"حسنا، أعدك أني سأبذل قصارى جهدي ".

هنا يوجد غرفتان فقط للراحة، غرفة للرجال وأخرى للنساء، كل واحدة بطول عشرة أمتار وعرض سبعة، ذات أسرَّة على عدد العملاء، سريران فارغان لأحمد وعبد الجليل.. بينما الجميع يتحدث كنت أنا وزينو صامتين، أنا مشبك أصابعي أنظر إلى الأرض وزينو ينظر إلي من بعيد، لا ريب أنه يفكر في كيفية تنفيذ خطته؛ بعد صمت تكلم هو فصمت الجميع، كان كلامه موجها إلي :" يالعباس! كلنا نعلم أنك حذفت حسابك.. لماذا حذفته؟". لم أتوقع أن يطرح عليّ هذا السؤال، لا ليس وقته، تلعثم لساني لكنه انطلق في آخر المطاف :" بعد معرفتي بأن الضحايا كلهم من مجموعتنا خفت على نفسي وأغلقته"، ابتسم بطرف فمه وقال :" هل ستعيده الآن ان طلبت منك ذالك؟"، نسيت أنني أتحدث مع أذكى شخص هنا، إن رفضت فستزداد شكوكه وإن وافقت فلربما يرى المنشور ويعلم بأمري ، أردت المماطلة فقلت :

- بماذا يفيدك هذا؟ عندما تنتهي هذه القضية سأعود إلى الفيسبوك مجددا.. هل اشتقت لمنشوراتي أم ماذا؟ هاهاها.

- حسنا.. (وقف من مكانه) كنت أمازحك فقط، سأذهب للخارج أجري اتصالا هاتفيا.

عاد الجميع للكلام كأن شيئا لم يكن ، أكاد أجزم أن هذه الاستراحة يتخلصون فيها من الشحنة الراكدة ولولاها لانفجروا في وسط العمل، أتى عبد الجليل بقربي بهاتفه ليريني بعض أخبار الفيسبوك قائلا :"ما دمت لا ترى المنشورات فدعني أريك ماذا يحصل هذه الأيام"، ضغط على الصفحة الرئيسية وبدأ يهبط ببطء، الكل يتحدث عن هذا البث الذي حصل، حتى أنهم غيروا الهاشتاغ إلى (#أنقذوا_العباس_وعائلته)، الخبر يتصدر الترند العالمي، سيرتي الذاتية، مسكني وقريتي كل هذه الأشياء نشرت على الفيسبوك، وما زاد حدة الجماهير هو علمهم بأني من أوقف القنبلة في عين صالح، ألم يلتقطوا لي الصور عند خروجي من المتوسطة!! الأمر واضح جدا.. سألت عبد الجليل عن شعوره بعد علمه بموت حنان، تغيرت ملامحه من الابتسامة الدائمة إلى حزن، أخبرني أنه صدم لكنه الآن بخير، لا بأس، بعد أن ينتهي كل شيء سنذهب لنزور قبرها.. بعد نصف ساعة نادانا الرئيس إلى غرفة العمليات، الكل يعرف لمَ هذا النداء؛ العصابة أرسلت ردها وحان الآن وقت تنظيم الخطة.

***

- أعطيناه مهلة 24 ساعة، هل تظن أنه سيظهر؟

- إن لم يظهر سننتقل إلى الخطة (ج).

هذه الجملة الأخيرة قالها عادل وهو جالس في غرفته وقربه مساعده المخلص وأعز صديق له.. فكر لنصف ساعة وفي الأخير قال لزميله :" اجمع الرجال في

الساحة، هناك أوامر غفلت عنها".. ساحة واسعة خارج العمارة المختبئين فيها، ساحة تكفي لمائة رجل، الان جميع أتباعه واقفين على استعداد لأي أمر، على شكل دائرة كبيرة هو في وسطها يصرخ ليضفي رهبة على الجو .

-هناك هواتف جديدة لكم قادمة في الطريق ستصل بعد عشر ساعات، هواتف للاتصال فقط. من هنا إلى ذالك الوقت لن يستخدم أحدكم هاتفه وسيجمعهم عليكم زميلي، إلى حين انتهاء المهمة ستعاد إليكم.. ستنتشر صور العباس في الأخبار وفي مواقع التواصل ويجب أن لا يراه أي منكم ما دمتم تعرفون أنه ڤولدن.. هذه أوامري الجديدة، ان طرأ شيء ما سأخبركم.. عاد إلى غرفته يستمع آخر الأخبار من المذياع بينما زميله أخذ الهواتف من جميع الرجال، عشر ساعات دون تواصل بالعالم الخارجي ربما ستجلب عليهم نهايتهم ولكن "عادل" وضع حسابا لكل شيء.. بعد مضي المدة تلك كان الرجال يحملون هواتفا من نوع Nokia بطراز قديم جدا ،المهم أنهم استعادوا التواصل مع رفاقهم في ورقلة ليعلموهم بوضع الرهائن؛ تبقت 13 ساعة ولم يظهر أي خبر.. تعمد عادل عدم اخبار الرجال في ورقلة بأي شيء عن الڤولدن، هكذا كي يستعملهم إن احتاج إليهم.. مضت ثمان ساعات وها هو خبر ينطلق من المذياع الموضوع فوق طاولته، صوت شرطي يقول أن العباس سلّم نفسه وتريد الدولة إجراء عملية تبادل، أسرع عادل وجمع الرجال مجددا ليسرد عليهم الخبر.

- الدولة تريد المبادلة.. العباس سلم نفسه مقابل انقاذ أبويه ويريدون منا اختيار مكان التبادل.. (فتح عادل ورقة كبيرة جدا عليها خريطة مفصلة

للجزائر).. الرهائن هنا (ووضع قلما في منطقة قاحلة من ورقلة) ومقرنا هنا (وضع قلما آخر على جوانب العاصمة) فأين سنختار المكان؟.. أخذ الرجال يفكرون ويطرحون آراءهم واحدا تلو الآخر :

- رجل 1 : في مطار ورقلة كي ننتقم لرفاقنا الذين قتلوا في تلك الحرب.

- رجل 2 : في أرياف قالمة كي ننتقم لهشام.

- رجل 3 : في منطقة تكون واسعة جدا وقريبة من مكان الرهائن.

كان عادل يستمع لهؤلاء الرجال وحين أكملوا كلامهم قال :

- جلكم يفكر في الانتقام ولكني سمعت أحدكم تكلم بعقله وقال رأيا جميلا وهو أن يكون المكان واسعا وقريبا من الرهائن.. نحتاجه قريبا من الرهائن كي ننظم أنفسنا في وقت قياسي.. أعيدوا التفكير وأخبروني باقتراحاتكم، بعد هذا كل الرجال أشاروا إلى ورقلة ولكن عادل كان له رأي آخر :

- ما سنختاره سيكون أكثر مكان يحفظه رجالنا ويسيطرون عليه، وهو أكثر مكان مهمش من طرف الدولة. (أخرج قلما ثالثا ووضعه على) المكان هو الرڤ الموجود بين ورڤلة وإليزي ، ألف كيلومتر لم يصلها عمران ولا زراعة وفوق هذا فجلها تحت سيطرة الإرهاب..

تساءل أحد الرجال عن كيفية التواصل مع الارهابيين فطمأنه بأنهم تابعون لأمريكا. "لن يواجهوا مشكلة في التنظيم" هذا ما قاله عادل قبل أن يأمر أحدهم بالاتصال بهم وإملاء الأوامر عليهم وهم سيطبقونها..

***

(الليلة التي قضيناها في مصر حقق فيها شخصان آخران إنجازا وهو عثورهما على الڤولدن بعد بحثهما المتواصل.)

أنتم تعلمون أنني أنا وزوجي عزمنا على البحث عن الڤولدن، لم يعد لدينا شك في الأسطورة، موت ثلاثين شخصا بطريقة ميتافيزيقية تدل على وجود الميتافيزيقا، هكذا فكرنا ومن هنا انطلقنا نبحث في الحسابات الفيسبوكية للضحايا.. ألم تعرفوني من أنا؟ أنا سناء زوجة ساري ، عضوان في منظمة البوراي في القسم التقني منها.. انتهينا من المهمة الموكلة لنا من طرف المنظمة ورحنا في مهمة سرية أخرى نبحث عن الڤولدن.. في بادئ الأمر لم نعر الأمر اهتماما ولكن بعد تكرار الحادثة أصبح الأمر طارئا ،بعد أن زارنا العباس وأصدقائه كنا قد بدأنا توا في البحث.. أخذنا حسابات الخمسة عشر الأولى ولم نجد فيها شيئا.. - جدير بالذكر أنني أتقن اختراق حسابات الفيسبوك وهذه كانت من هواياتي -، أما بخصوص الضحايا الآخرين فقد وجدنا بين ثلاثة عشر شخصا منهم عاملا مشتركا؛ هناك شخص ما أرسل لهم رسائل وتواصلوا معه وفي الأخير قام بإلغاء الإرسال كي لا يكتشف أحد ممن دخل حسابهم أمره، لكنه نسي أمرا وهو رسائل ضحاياه التي لا يستطيع حذفها من عندهم، كانت جميع الرسائل باختلافها تحمل كلمة (ڤولدن) وهذا يقطع الشك باليقين أنه ڤولدن تعمد قتل الناس، ياله من مجرم!!، اسمه مكتوب بالفرنسية : (yahya Taouza) ، لحسن الحظ أنه لا يضع صورته وإلا لأصبحت ضحية أنا أيضاً ، - لازال ساري يريدني في حياته وأنا أيضاً لن أتركه

حتى يفرقنا الأجل - ، ناديت على زوجي ليقوم بتتبعه فهو ماهر في تتبع الأشخاص، لكن هذا يستغرق منه يوما في العادة، لذالك سننتظر حتى الغد.. سألته عن ماذا سنفعل عندما نجد موقعه فقال :"سنرسل العنوان لذالك الذكي الذي زارنا".. فكرة جيدة، مادام كان يريد معلومات لدرجة أن يطلبها من عضو في المنظمة فهو يستحقها.. ذهبت لأنام وتركت ساري يعمل في الحاسوب ولكن هاتفي رن قاطعا للنعاس، المتصل هو أعز صديقة لي، فتاة تعرفت عليها في فلسفة مريض نفسي وجمعنا القدر في منظمة واحدة وفي قسم واحد منها، اسمها حنين (بقايا حنين) ، سأرد عليها بالطبع، حملت الهاتف وضغطت زر الاتصال :

- حنين : أهلا صديقتي، اشتقت إليك.

- سناء : بخير والحمد لله، كيف تجري أعمالك مع المنصة؟

- بخير، أنا أخترع أشياء جديدة تعزز من قوتها، أنت تعلمين أن الهجمات ستزداد عليها هذه الأيام بعد أن زادت قوة منظمتنا.

- شاطرة كما عهدتك.. لماذا اتصلت بي في هذا الوقت المتأخر من الليل؟

- لا تقولي كلمة (شاطرة) فمعناها سيء عكس ما يجوب في عقلك.. هل تشاهدون الأخبار هذه الأيام؟

- أحيانا فقط.. عملنا كثير وليس لدينا وقت.

- التقرير الذي أرسلتماه أنت وزوجك يفيد بأن جلّ أفراد العصابة موجودون في الجزائر ،وقد تبين صدق هذا بعد آخر خبر.. اختطفوا والدا العباس ويطالبون بتسليم نفسه.

- العباس! تقصدين صديقنا في فلسفة مريض نفسي ؟

- نعم هو، وقد رضخ لكلامهم وسلم نفسه للشرطة بشرط أن يبادلوا الرهائن، بحيث ينجو أبواه ويمسكون به هو.

- لماذا لم ترفعي تقريرا للمنظمة بشأن هذا؟

- الرؤساء على علم بكل هذا وقد خططوا لإرسال رجالهم حيث عملية التبادل.. ستحدث ملحمة كبرى وأخشى أن يذهب عناء العباس سدا وتموت الرهائن.

- هذا يبقى على حسب رئيس الكتيبة السرية التي أرسلوها.

- وضعوا على رأسها عضوا جزائريا اسمه شاهين (شاهين امير).. أكثر عضو حازم، لا أظنه يهتم لأمر رهينة، خصوصا وأن المنظمة أمرته بالقضاء على العصابة مهما كلف الثمن.

- مشكلة، ليس بيدنا حيلة.. العباس أقدَمَ على هذا وهو موقن بالمخاطر.

***

سيرة يحيى : - ج 05 - (والأخير)

أحتاج الشجاعة الكافية، إما انتقام أو موت ،نسبة الموت تتجاوز 70٪.. أخبرني حارسي أن لا ألجأ للاختبار إلا في المواقف الحرجة وأنني سأعرف كيفية دخوله عندما أريد، الآن أنا أريد ولم يتغير شيء! هل لأن ارادتي ليست مائة في المائة؟ تبا لكل هذا ، كيف سأجعل الاختبار أمرا لا مفر منه؟... خرجت من البيت متجها نحو الحديقة المجاورة، جلست على كرسي أتابع الكم الهائل من الناس تأتي وتروح، بينما أنا هكذا وإذ بفتاة وشاب ملامحهما مخيفة تجذب الأنظار لكن لا أحد يأبه لهما - هذا هو حال المدن -.. عيون سوداء ووجه دائري لحد مخيف، متشابهان كأنهما توأم ،متجهان نحوي، أعرفهما جيدا، هذه شيماء وهذا أخوها زعيم عالم الجن.. غيرت جلستي مستعدا لما هما قادمان لأجله، لا يظهر أحدهما الا اذا كان هناك شيء مهم، لكن هذه المرة أتى كلاهما معا.. أفسحت لهما مساحة ليجلسا عليها ثم أفرغت رأسي من كل شيء، هذه محادثة مهمة وعلي استغلالها.. وضع الشاب قدماً على قدم وقال :

-لقد تسببتَ بضجة كبيرة في جانب النجوم بعد قراءتك لكتاب المعرفة، لقد أخطأتَ بذالك؛ لم يكن الوقت قد حان بعد.

- أولا يعجبني فيكم دخولكم مباشرة في صلب الموضوع عكس البشر يهتمون بمقدمات لا فائدة منها.. ثانيا : قضيتُ سنوات أبحث عن ذاك الكتاب وفي الأخير تأتي وتقول " لم يحن الوقت بعد" ؟؟.

- تحدثي أنت يا شيماء، أنا صبري ينفد بسرعة.

-شيماء : هناك فصل في الكتاب اسمه "الاختبار النهائي"، قلبتَ الصفحة ووجدتَها فارغة! ، هذا بسبب أنك لم تدخل الحالة الحرجة وهي 14 قربانا.. سأبسط لك أكثر، لو أن العباس هو من قرأ الفصل لكان رأى الاختبار وقواعده، ذالك أن الوحوش أخذت منه أربعة عشر ضحية.

- تبا.. دائما هناك قاعدة نجهلها.. لماذا لم تخبراني بها؟

- لو أخبرناك لتراجعت عن بحثك عن الكتاب لأنك لن تضع نفسك في الحالة الحرجة، لن تقبل بموت أناس آخرين.. وعندما وجدتَه لم نستطع التحدث معك كي لا تكشف الوحوش أمرك، وعندما أمسكتَه قام الكتاب بعزلك عن العالم، ألم تلاحظ أن المرشد لم يكن بعيدا عنك كثيرا ورغم هذا لم تلاحظ موته؟! حصلت مجزرة لذالك البشري المسكين وأنت لم تلحظ شيء.

- لماذا لا تخبراني بقواعد الاختبار الآن لتزداد ارادتي أو تنعدم؟.

-ذالك الفصل سري للغاية ولا يعرفه سوى من ألَّفه.. وأما بشأن احتراق الكتاب فسببه قراءتك لفصل " النار الحارقة".

-حسنا ، لماذا أتيتما الى هنا.. لا بد أن الأمر أهم من هذا.

(هنا تكلم الشاب بعد صمت) - علمنا أنك تريد الارادة لاجتياز الاختبار، هناك طريقة واحدة لقبولك وهي أن تكون في حالة حرجة.

-هل يعني هذا أني لن أستطيع اجتيازه حتى لو أردت ذالك؟.

- بالطبع ؛ إما أن يموت 14 بشريا أو 14 وحشا.

- الخيار الثاني لن أستطيع تنفيذه فحصيلتي حتى الآن سبعة وحوش وعمري على مشارف الخامسة والعشرين؛ تبقت يومان ليوم ميلادي.

(ضاقت عينا الشاب حتى عاد كالعفريت وقال) :

- أشتم رائحة الشر تنبعث منك.

- سيموت قرابين آخرون، سأنتقم لأختي.

- لا تنسى أن المرشد ذاك أصبح قربانا، لا تخطئ في العدّ.

انتهت نزهتي في الحديقة وعدت لمنزلي أقرر من سأضحي بهم وكيف.. دخلت الفيسبوك أختار أشخاصا من معارفي - كي يصدقوا أنني ڤولدن -، أشخاص أعرفهم مجرد أصنام على لائحة الأصدقاء وآخرون كارهون للحياة يتمنون الموت كل ساعة، حان الوقت لتحقيق أمانيهم.. كتبت رسالة في هاتفي مفادها :"أردت سؤالك ، أتاني شخص ما في المنام وقال لي< أنت الڤولدن >، هل تعرف شيئا عن هذه الكلمة؟".. نسختها وأرسلتها إلى أربعة عشر شخصا - أخطأت العد - اخترتهم بعناية ، من بينهم شخص ماتت أخته ويكاد يموت كمدا عليها، أعرفه منذ زمن؛ زرته مرة في بيته الكائن بولاية الشلف؛ التقينا مرة واحدة وأصبحنا صديقَين ومن حقه علي أن أنهي حزنه.. جميع من استلم الرسالة فسَّر الحلم على أني ڤولدن وصدّقوا ذالك بحكم معرفتهم بي وبمواهبي.. هكذا انتهوا جميعهم، هم مدينون لي بشكر لتحقيقي رغبتهم؛ وفي نفس الوقت اكتشف فريق البحث في إليزي وجود رائحة عفنة، وعندما اقتربوا

انتهى بحثهم عن المرشد المفقود، وجدوه مُقطّعا لدرجة لا توصف، بطريقة غير مألوفة، كان أشبه بقطعة زبد مرّت من خلال شباك رقيق.. بعدها أعلنوا موت 15 ضحية أخرى.. وكانت الجن قد أنقذت شخصا كالعادة من خلال قتله.

في اليوم الموالي جلست مجددا وسط الغرفة في بيت بلسم، البيت فارغ وهذا يعطيني راحة وصفاء بال.. صرت الآن في حالة حرجة، حسب قوانينهم فأنا مؤهل لاجتياز الاختبار.. اليوم هو آخر يوم لي في سن الرابعة والعشرين.. إما الانتقام لبلسم أو اللحاق بها، كلا الخيارين جميلين.. أغمضت عيناي وأخذت نفسا عميقا – الارادة الآن تكفي – فتحتهما لأجد نفسي وسط ظلام دامس على مد البصر والموجودات من حولي اختفت كلها...

***

عدنا لغرفة العمليات ننظر إلى آخر خبر يعرض على الشاشة، رجلان ملثمان يعرضان صورة أبي وأمي مجددا – هذا يجعلني أنفجر غضبا – ويقولان بالحرف الواحد :" نحن العصابة نعلمكم أننا وافقنا على عملية التبادل وقد حددنا الزمان غدا على الساعة الثانية ظهرا والمكان بين ورڤلة وإليزي على بعد 200 كلم من ورقلة ثم 50 كلم شرقا.. إن تأخرتم دقيقة واحدة سنقتل الرهينتين وننتقل للخطة (ج)، لدينا الكثير من الخطط".. صمت الجميع ليسمع ما سيقوله الرئيس، تنهد قليلا وقال :" لنسمع رأيك أولا يا زينو في هذا الكلام "، (احتدت ملامح خليلة بسبب شكها في زينو، كيف يضع خطة مملوءة بالثغرات وهو المشهور بخططه المحكمة؛ هل حياة العباس رخيصة

هكذا بالنسبة له؟).. قال زينو بنبرة الواثق المحنك :" أولا بالنسبة للمكان فقد اختاروا بيئة نجهلها ومليئة بالإرهابيين ، ثانيا ، وأما بالنسبة للثانية ظهرا فالحرارة تكون وقتها مشتعلة في تلك المنطقة، أظن أن الدولة الآن ستعيد التفكير بالنسبة للمناطق المنسية من الجنوب الجزائري".. وأضفت أنا قائلا :" عبد الجليل المفقود قد قتلوه"، انهالت علي الأسئلة : (كيف عرفت؟ مالذي تقوله؟..) ، فأكملت :

-عبد الجليل ترك بطاقته الشخصية لدى عائلتي كضمان لأخذي، وبما أنهم أخذوا أبوي فقد أخذوا بطاقته من قبل وتبعوه ليسألوه عن مكاني ولكنه لم يفصح لهم عن شيء فقتلوه.. ألم تسمعوا أنهم يريدون الانتقال للخطة (ج) ان تأخرنا، يعني أن خطفي أبوي هو الخطة (ب) وخطفهم لعبد الجليل كان الخطة (أ).

حيَّ زينو استنتاجي قائلا :"حتى أنا فكرت في الشيء نفسه.. نحن نخسر عملاءنا وهذه مصيبة."

عاد الرئيس للتحدث مجددا:<< ستذهب الشرطة إلى ذالك الموقع والصحافة أيضاً.. (متحدثا إلى أحد أولئك القابعين أمام الحواسيب) مُرْ قائد الشرطة أن يضعوا حواجز أمنية عند " 200 كلم بعد ورقلة في طريق إليزي"، لن تمر سيارة واحدة إلى الموقع.. (عاد يتحدث إلى الحاضرين) نحن كما تعلمون قد أخذنا الإذن من الدولة بإدارة هذه المهمة.. ستذهب فرقة القناصين لتلك المنطقة قبل ساعتين من الموعد المحدد؛ سنضع أصغر كاميرا اخترعت في العالم على ملابس العباس كما اتفقنا..(نظر إلى عبد الجليل ووجه له كلامه

قائلا:) يا عبد الجليل! أخبرهم بآخر الأخبار عن المهمة التي أرسلتك لها في مصر..>> تنهد قليلا ثم قال :

-بعد أن ظن الجميع أنني ميت أخفى الرئيس أمر حياتي وأرسلني إلى مصر كي أحقق في أمر منظمة البوراي وتوصلت إلى أنهم أجروا اجتماعا قبل أيام فقط وقرروا فيه تتبع أعضاء العصابات وعلى رأسهم عصابة B.M.. لقد توصلوا إلى أن العصابة مقرها في الجزائر وتبقى أن يأتوا إلى هنا، وبعد هذه القضية التي نحن فيها فاحتمال ظهورهم أثناء المبادلة كبير جدا.

لم تستطع خليلة كبح أعصابها بعد سماعها لهذا فقالت :

-هذا سيء، سيفسدون كل ما خططنا لأجله.. لن ينظروا إلى وضع الرهائن وإنما سيهاجمون دون تفكير.

تنحنح عبد الجليل وأكمل كلامه :

-هذا يبقى على ماهية قائدهم.. يمتاز أعضاء منظمة البوراي بالاستقلالية ، عندما يصدر لهم أمر عليهم تنفيذه بأي طريقة، حتى وإن اضطروا للتحالف مع الأعداء، كل عضو وطريقته في تحقيق المهام.. الان علينا العثور على من كُلّف بمهمة القيادة والتفاوض معه.

تعجب الرجال من هذا الكلام الذكي، حتى أن أحدهم سأل عن كيفية معرفة هذا الشخص فأجابه عبد الجليل قائلا :" هذا مالم أجد إجابته بعد".. انخفضت معنويات الفريق الا أن الرئيس أخبرهم بضرورة التحسب لأي طارئ، ثم رفع معنوياتهم بقوله :" لدينا ورقة رابحة سنستعملها.. العصابة

مسيطرة على تلك المنطقة بأكملها وسيكون من الصعب تسلل فرقة القناصين، هم مسيطرون على البر ونحن سنسيطر على الجو.. سيصعد الفريق في المروحيات ويقفزون عندما يجدون اللحظة المناسبة".. بدا الإعجاب على وجوه الحاضرين ولكن تبقت هناك ثغرتان سأل عنهما أحد الرجال :" سيرون المروحيات فهي لا ترتفع كثيرا وأيضا عندما يقفز الرجال سيرونهم "، ابتسم الرئيس في وجهه وقال :"علمت أنكم ستسألون هاذين السؤالين.. فكرت في الخطة ووجدت القدر يصب في صالحنا، في تلك المنطقة بالضبط سيكون الجو غائما نهارا وسنحلق فوق الغيوم، وأما بالنسبة للقفز سنقوم بإلغائه وسنعتمد على متتبع المواقع ونختار اللحظة المناسبة من خلال الكاميرا المعلقة عليه. سنمطرهم بالرصاص من السماء ".. سأله أحدهم مجددا :" من سيكون قائد العملية؟ ".. هنا دخل رجل إلى الغرفة، رجل جديد لم يره أحدهم من قبل الا أنا فقد كنت أعرفه، أعرفه جيداً.. تكلم الرئيس قائلا :" عضو جديد ذو موهبة وجدناه وقمنا بدعوته، لديه جنسية مصرية وسورية وجزائرية.. أمهر قناص قد ترونه في حياتكم.. منقذ العباس في مطار ورقلة وسينقذه مجددا ان شاء الله.. اسمه الكامل (باسم علي)".. ظل باسم صامتا بينما الرئيس يعرِّف الحاضرين عليه، كلفه بمهمة ادارة العملية وهو يثق في مهارته.. في الأخير قال الرئيس :

-سألخص لكم كل هذا.. ستنطلق الفرقة بقيادة باسم بعد ساعة من الآن إلى ولاية ورقلة ليرتاحوا قليلا ثم سيكملون طريقهم جوًّا.. أما بالنسبة للعباس فسنسلمه للشرطة في ورقلة وسنضع عليه كاميرا وجهاز تتبع وبدلة مضادة للرصاص ؛هكذا سنضمن سلامته قليلا. عندما ننقذ العباس والرهينتين

سنهاجم مقرهم هنا في العاصمة، هكذا لنضرب عصفورين بحجر.. هذه قضية دولة ،إن فشلنا فسيسقط اعتبارها بين الدول وبين شعبها أيضاً؛ أطلب منكم شيئا واحدا وهو أن لا توفروا أي جهد في سبيل النجاح.. يمكنكم الآن الذهاب للنوم، غدا ينتظرنا عمل كثير.

أنا زينو أريد أن أحكي لكم عن تلك اللحظة التي خرجت فيها من غرفة الاستراحة أجري اتصالا.. أردت الاتصال بصديقي يحيى لأخبره بالمهمة وشعوري حول الڤولدن، كنت تكلمت معه قبل يوم لكنه كان مشغولا.. الآن لم يرد على اتصالاتي، لا أعلم أين هو لكني قلق حقا.. ذهبنا لغرفة العمليات لنرى المستجدات وبعد ما أنهينا وذهب كل شخص لرأس عمله أتانا خبر بمقتل شخص آخر، أخ لضحية سابقة ينحدر من ولاية وهران.. بعد بحث أمه عنه ونداءها لسكان المدينة لمساعدتها، قالت أنه خرج بدون أن يأخذ أغراضه معه، استبعدتْ كونه ذهب للسفر.. بحثوا في أرجاء المدينة وتركوا بيت الضحيتين السابقتين (بلسم وزوجها)، قالوا أنهم يرون أشباحا من نوافذ ذالك البيت ليلا، أصبح الجميع يتحاشى تلك الطريق ليلا.. هذه المرة هم مضطرون للبحث، أحضروا أضواءً كثيرة وأخذوا مفتاح البيت من عند الأم ودخلوا.. لا شيء في غرفة المعيشة، لا شيء في الحمام، تبقت غرفة النوم، فتحوا الباب وسلطوا أضواءهم حول ذالك الشيء الساقط أرضا، شيء عندما تراه ستعرف صاحبه مباشرة، إنه وبلا أدنى شك رأس يحيى، لكن أين جسده؟ لم يعلم أحد الإجابة على هذا السؤال.. هذا ثاني شخص أخسره؛ الأول كان فتاة أحببتها، ليست جزائرية ولا عربية؛ فتاة أمريكية تعرفت عليها مصادفة وتعلق قلبي بها دون أن أشعر، تواصلنا طويلا وكنت أود التعبير عن

حبي لها، من كان يظن أن قلبي القاسي سيحب فتاة ما، في اليوم الذي قررت فيه الاعتراف لها بحبي وطلب يدها وصلني خبر وفاتها، وما فطر قلبي أكثر هو كونها أحد الضحايا الخمسة عشر ، استدارت أعضاءها حتى فارقت الحياة، من يومها ختمت على قلبي وازدادت قسوته حتى أصبح كالحجر.. لذالك لم أصدم كثيرا عند سماعي لخبر موت يحيى، من قطع رأسه وأخذ جسده؟ هل هم عصابة بيع الاعضاء؟ لا أظن ذالك ، لأن الرأس سليم والعينان لم ينتزعا.. لا يهم ،المهم أنني سأنتقم ممن قتلك يا صوفيا، سأقتل الڤولدن مهما كلف الثمن.

أنا العباس.. بعد الاجتماع ذاك وبينما أنا في ورقلة حيث سأرتاح قليلا قبل الانطلاق إلى موقع التبادل.. رحت أفكر في كل ما حدث، وجود ڤولدن آخر وعدم ظهوره حتى الان، باسم الذي لم يمت، موت أحمد، بوابة الڤولدن في مصر ووو.. وبينما أنا هكذا ظهرت أمامي شيماء وكنت أراها وحدي، استأذنت منهم الخروج لاستنشاق بعض الهواء.. وجدتها قلقة أول مرة فسألتها عن ماذا حصل فقالت :"الڤولدن الآخر خاض الاختبار ورسب فيه.. بقي رأسه فقط" هذا يعني أنني بقيت بمفردي والآمال معلقة علي؛ عندما أخرج سالما من هذه العملية سأجد حلا لمشكلة الڤولدن..

***

في صباح اليوم الموعود وجد زوجي ساري موقع الڤولدن الذي اسمه يحيى، كان كثير السفر لذالك وجدنا له مواقع كثيرة وفي الأخير وجدنا آخر مكان دخل فيه الى الفيسبوك وهو في وهران في أحد المدن ، اتصلنا بعدها مباشرة

بذالك المدعو زينو وسألناه عن ما إذا كان يعرف شخصا (وأعطيناه معلومات يحيى الشخصية). قال أنه صديقه!! هههه صديقه! لن نستطيع اخباره، ان علم بحقيقته فسيموت، عدلنا عن قرار اخباره.. عندما انتهى الاتصال بقينا نفكر في من سنعطيه مهمة قتل ذالك الفتى ،هل نخبر المنظمة؟ نخشى أن يكون منهم من يعرفه.. ماذا سنفعل؟ كان التلفاز بقربنا شغالا فظهر عليه خبر وهو :"موت ضحية أخرى في سلسلة الجرائم، شاب اسمه يحيى ويسكن في ولاية وهران، حيث وجده السكان ميتا بلا جسد في بيت أخته بعد بحث استغرق ساعتان".. نسمع كثيرا عن ميت بلا رأس، لكن ميت بلا جسد هذه جملة جديدة على قاموسنا.. على كل فقد انتهى تفكيرنا في أمره، مادام قد مات فقد سقط ڤولدن وتبقى واحد فقط.. بينما نحن نفكر تذكرت شيئا لم أقله لساري وهو :

- بينما كنتَ منهمكا في العمل ليلة البارحة اتصلت بي صديقتي حنان وقالت أن العباس صديقنا في خطر، العصابة التي نطاردها نحن اختط..

- أعلم بكل هذا، أنا أتابع الأخبار.. المنظمة أرسلت فرقة لتولي أمر تلك العصابة ووضعت على رأسها (شاهين)، لا تقلقي فشاهين صديقي وقد اتصلت به وشرحت له الوضع.

-متى فعلت كل هذا؟

- بمجرد أن أعلنت العصابة عن مكان التبادل أصدرت المنظمة أوامر بالتحرك وأنا اتصلت بشاهين حينها.. وأيضا فأعضاءنا تمركزوا في أماكنهم قبل حتى أن يسيطر الإرهابيون على المكان.

- أين اختبأوا والمجرمون الآن منتشرون في تلك المنطقة؟

- للأسف حتى أنت يا زوجتي الحبيبة يا عضوة في منظمة البوراي لا تعلمين ماذا كانت تفعل المنظمة طوال العشر سنوات!!.. طورنا أنفسنا في جميع المجالات ، في المجال الحربي استعنا بمهاجرين أفارقة وآسيويين ومن جميع بقاع الأرض، من ليس له مأوى ولا طعام يكفيه، عرضنا عليهم راتبا زهيدا مقابل العمل لصالحنا، جمعنا قرابة الألف شخص، دربناهم على حمل السلاح وشحنا عقولهم بالبغض تجاه الارهابيين ومغتصبي حقوق الشعوب.. وفي المجال العلمي سرقنا مخطوطات واختراعات حربية وقمنا بتطويرها واخترعنا من جهة أخرى أشياء جديدة لم نظهرها للعالم بعد.. كل هذا حصل في عشر سنوات فقط، هل رأيت لماذا بنينا منظمتنا على الأذكياء فقط؟.

-واو.. يعني هل أستطيع القول بأن جنودنا الذين ذهبوا لموقع التبادل لن يراهم أحد ؟

- هذه هي، بذلة تمويه أوتوماتيكية تتأقلم مع الموجودات من حولها، كجلد الحرباء، زمن استجابتها أقل من ثلاثة أجزاء في الثانية.. بل وتطور الأمر إلى صنع غطاء تمويه خاص بالسيارات.. يعني أن أفراد تلك العصابة لن يعوا ما حصل لهم حتى.. لكن هناك شيء أريد التأكد منه أولا.

-لا تقل لي أنك تفكر في إمكانية كون العباس هو الڤولدن الثاني!

- رأيت منشوره ذاك قبل أن يحذف حسابه.. عقلي يريد التصديق لكن فكرة ما تعيقه عن ذالك وهي غباء العباس ههه يستحيل أن يكون ڤولدن! هل يمكن للڤولدن أن يكشف نفسه بمنشور على الفيسبوك ؟.. على كلٍّ سننقذ العباس وبعدها لكل حادث حديث.

***

الساعة الآن تشير إلى الثامنة صباحا حيث خالي جالس في المستشفى قرب سرير ابنته التي لم تفق من غيبوبتها بعد.. رصاصة في الصدر أمر فظيع تجعل الإنسان بين الحياة والموت. حتى الآن لم أعلم بشأن زهرة شيئا ولا هي تعلم عن ورطتي شيئا.. أردت أن أحكي لكم عنها :

ذات يوم وقبل أن أهرب من المنزل، عندما كنت أعاني من تنمر الأطفال من شكلي، ذهبتْ هي إلى عائلات هؤلاء الأولاد وأخبرتهم بأن يكفوا أطفالهم عني؛ لكنهم لم يصغوا لها وكانوا يغلقون الباب على وجهها، فتاة صغيرة تملي عليهم الأوامر!، هذا ما لا يقبله الناس، اذا أردت تحذير الناس من شيء هم فاعلوه فعليك أن تكون أكبر منهم وذا مكانة مرموقة أو تكون متسلطا ذا إمكانية تكفي لبث الرعب في قلوبهم، وهذه الزهرة المسكينة لا تملك ذاك ولا ذاك.. رآها أحد الصبية تفعل ذالك فأخبر رفاقه؛ في اليوم الموالي قطعوا طريقها لكن أباها كان مارا صدفة من هناك فأنقذها، رغم هذا فقد جرحوها قرب عينها وهذا ما أغضب خالي فجعله يذهب لهؤلاء الأهالي؛ على الأقل هو يملك

الرعب الذي يبثه في قلوبهم، جميعهم يعلمون أن زوجته ماتت منتحرة لذالك هم يظنونه السبب؛ لا يعلمون شيئا عن زوجته واتهموه في أنفسهم زورا وبهتانا.. حتى أن الأطفال أصبحوا يتنمرون على زهرة بوالدتها وينادونها "ابنة المنتحرة" وأحيانا ب "ابنة التونسية" ذاك أن والدتها – رحمها الله – من أصول تونسية .. لا أحد يعلم الحقيقة ولا حتى خالي وابنته؛ أنا علمت - في ما بعد - أن زوجة خالي كانت (فولدن) في ذالك العقد.

- أنا لبنى[3] ذات العشرين ربيعا، من مواليد 1976 ، أنحدر من تونس في إحدى القرى المحافظة، ترعرعت في أكناف والدي عشر سنوات ثم توفي والدي بعدها، والدي الذي سكن قلبي طيلة تلك السنوات، لم يصرخ في وجهي ولم يضربني أبدًا أبدًا، كيف لا أحبه وكيف لا أموت كمدا على رحيله!.. هكذا عشت عشر سنوات أخرى لم أذق فيها طعم السعادة، حاولت أمي اضحاكي آلاف المرات لكني كنت أبتسم بطرف فمي فقط، لم تكن تعلم أن ذالك أقصى ما أستطيع فعله؛ وأن نكاتها ومقالبها قتلتني بالضحك ولكن في وقت غير مناسب.. لا دراسة ولا عمل سوى حرث الحقل ورعاية الحيوانات، لولا هذان أو لولا أبي الذي يأتيني ليلا مرة كل شهر لمت منذ زمن. يزورني في غرفتي يلقي علي التحية ويتحدث معي قائلا كل مرة " لا تحزني فهناك شيء عظيم عليك فعله"، نصيحته كانت لتكون فعالة لو أنه يبقى بجانبي دائما وليس مرة كل شهر. أمي تدخل أحيانا أثناء حديثنا لكنها لا تراه، لهذا قالت أني جننت وأخذتني إلى طبيب نفسي.. خمسة أعوام وهو يأتيني إلى ذالك اليوم الذي قال

[3] Loubna Mohamed

لي فيه :"هذه آخر زيارة لي.. أريد مصارحتك بشيء".. أمسكت يديه برفق وضممتهما إلى صدري وقلت :"لا ترحل عني! لا تتركني وحيدة"، احتدت ملامحه لأول مرة، لأول مرة أرى أبي على هذه الحال.. قال بنبرة لمست فيها الخشونة :" حان الوقت لتصيري ذات مسؤولية. حان الوقت لتتركي عنك الأنانية، حان الوقت لإنقاذ البشرية ". ضحكت من هذا الكلام المسجوع، لم أضحك منذ خمسة أعوام ،" أي بشرية! ماذا ستقدم فتاة مسكينة مثلي لهذا العالم؟" قلتها متسائلة فردَّ قائلا :

- أنا حارسك وأنت ڤولدن هذا العقد.. هناك بوابات سبع قد فتحت وتبقت واحدة، ان تمكنوا من الإمساك بك فسيفتحونها.

- من هم؟ وما معنى ڤولدن؟.

- الڤولدن هو شخص يولد كل عشر سنوات، يملك موهبة لا يملكها أحد من البشر.. تتبعه وحوش من عالم آخر تود فتح البوابة الأخيرة لتحرير أسيادها..

سألته وسألته وهو كان يجيب على كل شيء، لم أستطع تصديق أي شيء.. في الأخير طلب مني الاعتناء بنفسي، أردت أن أترجاه كي يبقى لكن نارا غريبة المظهر دخلت من النافذة والتصقت به لتجعله يتلاشى شيئا فشيئا. رغم تلاشيه لكن الابتسامة ظلت مرسومة على وجهه، حتى ان لم يكن أبي فهو قد قلَّده أحسن تقليد.

بعد ذالك اليوم تغيرت طباعي من الحزن إلى الجدية، قالت أمي أني في الليلة الماضية كنت أبكي كثيرا، وربما البكاء ذاك أخرج كل ما في داخلي من بؤس..

لم أصدق شيئا مما قاله لكني رأيت بأم عيني وحوشا ضارية تتحدث وأشياء ميتافيزيقية تحدث، عندها علمت أنه لم يكن يمزح.. حرصت على أن لا يعلم أحد بهذا كي لا يموت - هكذا قال لي -. تبقى شيء واحد أظنه كذب فيه وهو أن يكون لدي موهبة أتميز بها، ماذا أملك وأنا فتاة لا تملك شيئا هههه أضحك كلما فكرت في الأمر.. ذهبت يومها إلى الحقل أرعى الحيوانات فكنت أراها وهي سعيدة؛ تأخرت عنها اليوم وقد جاعت كثيرا؛ حتى نحن عندما نرى طعاما بعد جوع تأتينا السعادة، أتاني لوهلة خاطر بأن السعادة هي لحظة انقلاب المشاعر السيئة إلى نواقضها الجيدة، هي لحظة قصيرة لا تدوم لأن النفس سرعان ما تتعود على الحال الجيد وتنسى شعور السيء كيف كان.. دعكم من فلسفتي الحمقاء هذه وتعالوا أحكي لكم قليلا عن زواجي :

بعد خمس سنوات لازلت فتاة مسكينة في ريف من أرياف تونس تتمنى الخروج منه ذات يوم، لكننا عائلة ثرية فقيرة، ثرية بالأراضي والحيوانات وفقيرة من الدراهم والتقدم الحضاري. حتى أمي لن تقبل ببيع أي شيء ولا الخروج من هذه الأرض.. ذات يوم كان وفد سياحي مارا من قرب المزرعة وكنت أزرع بعض القمح فرآني شاب وأعجب بجمالي – احم احم – وعلى طريقة الروايات فأنتم تعرفون بقية القصة.. في الأخير اتضح أنه جزائري واشترط علي الذهاب معه، عكس الروايات فقد وافقت أمي على هذا الشرط ووضعت هي أيضاً شرطا وهو زيارتها مرة كل ثلاثة أشهر فوافق الشاب على هذا.. ذهبنا إلى الجزائر حيث يسكن، حر شديد لكني اعتدت عليه. عشت معه خمس سنوات بحلوها ومرها، كان معروفا بتعصبيته لكن لا أحد يعلم أنها كانت مع العالم الخارجي فقط وليست معي، أنجبت منه فتاة سميتها زهرة

تخليدا لذكرى المزرعة التي كنت فيها، تسألون عن قضية الڤولدن؟ لم أنسها ، صنعت نصلا فضيا وقتلت أربعة عشر وحشا منهم وتبقى واحد، فطنت تلك الوحوش إلى أنها في خطر فاختفت من طريقي، لم أعد أراها أبدا.. عندما شارفت على بلوغ سن الخامسة والعشرين كنت أعلم أن نهايتي قد اقتربت فطلبت من زوجي الخروج إلى الجبل الأصفر كي نستمتع قليلا فوافق على الفور.. صعدنا كومة الرمال تلك ليلا ومعنا ضوء القمر منيرا كل الموجودات، يوجد قليل من البرد فذهب زوجي يجمع بعض الجريد المتساقط وكنت أنا أرى ضوءً صاعدا إلى السماء في وسط تلك الحقول الجانبية، دفعني شيء داخلي إلى الذهاب والنظر.. نزلت الرمال حافية القدمين مهرولة إلى هناك كي لا أتأخر ويقلق زوجي عليَّ.. عندما وصلت الى مصدر الضوء وجدته ينبعث من تحت الرمال، حفرت بيدي مسرعة وإذ بكتاب مغطى بالجلد، جلد ذو رائحة نتنة وشكل تبين لي منه أنه لبشريّ.. قاومت رغبتي في التقيؤ ونزعت الجلد عنه وفتحته لأجده بلغة غير مفهومة وأشكال وطلاسم لكني بطريقة ما كنت أقرأ صفحاته (...).. وصلت إلى ورقة مكتوب عليها "الاختبار النهائي" وعندما قلبت إلى الورقة الأخرى قرأت شروطا عديدة وبنودا كثيرة، هذا هو الاختبار الذي أخبرني عنه شبح أبي.. فقدت الأمل في اجتيازه خصوصا بعدما قرأت شرطا وهو :" يبقى فقط رأس الراسب ذكرى لعالم البشر".. لا أملك العزيمة أو ربما لست كفؤا لأكون ڤولدن، ربما الموهبة التي تحدث عنها هي أني لا أملك أي موهبة، أليست هذه موهبة في حد ذاتها؟.. اتخذت قرارا جريئا وهو أن أنهي حياتي هنا؛ كتبت على الرمال رسالة :"آسف يا أبي لأني لم أكن لائقة بك، آسف يا زوجي لأنك ستكمل نزهتك مع ابنتك فقط، اعتني بزهرتنا

ولا تدعها تذبل، لا تترك الزهرة تذبل كما ذبلت أمها، إياك " صعدت إحدى النخلات المجاورة، يد على خشبة النخلة كي لا أسقط وأخرى سحبت بها جريدة منها وقطعتها طوليا بأسناني - حتى خرج الدم منها - وأخذت نصفها وأدرته على رقبتي ثم ها أنا أرخي جسدي ليتكلف ثقله بكل شيء.. ها أنا الآن خرجت من دائرة الڤولدن لأصبح " **الفتاة المنتحرة**".

***

أنا شاهين أمير من الجزائر بالضبط في ولاية باتنة ، عضو في منظمة البوراي، يكفي هذا، أنا الآن في مهمة خطيرة وأنتم تطلبون مني أن أحكي لكم عن نفسي!.

عشر سنوات ونحن نطور ونخترع سرا وحان وقت جني الثمار.. بعد الاجتماع الأخير أسندوا إلي مهمة القضاء على العصابة في وكرها، قالوا أن مكانهم في العاصمة ، ستكون المهمة سهلة إذاً.. لكن شيئا ما طرأ وهو احتجازهم لرهائن ومطالبتهم لشخص ما بتسليم نفسه، اتصل بي صديقي ساري يطلب مني وضع خطة لإنقاذ الرهائن وانقاذ الفتى أيضاً. وضع خطة! دع الأمر لي فأنا بارع في هذه الأمور.. ناديت سبعة رجال إلى منزلي لأشرح لهم كل شيء، كنا قد أرسلنا حمامة روبوت إلى مقرهم واستطعنا اكتشاف خطتهم ووضعنا مضادا لها. وتحركنا نحو الموقع حتى قبل أن يعلنوا عنه. لدينا أجهزة متطورة وسننهي أمرهم في لمح البصر.. علمنا أيضاً من حمامنا أنهم قبضوا على عميل استخبارات كان رفيقا للعباس واستجوبوه كي يعلموا مكانه ولكنه أبى الادلاء بأي معلومة فقتلوه، وأيضا سمعنا بشأن كون العباس ڤولدن وأنهم يريدون

قتله، لا أدري ان كان هذا صحيحا أم لا. هناك طريقة ما للتأكد وهي تركهم يقبضون على العباس وعندما يرونه سنعرف ان كان السبب في سقوط الضحايا الخمسة عشر، لكن من يضمن لنا أنهم لن يقتلوه في الطريق؟ عليّ التفكير بطريقة تجعل أحد هؤلاء الرجال يحضر لموقع التسليم.. هذا ما يعيق تفكيري.. أو ربما هناك طريقة أفضل، سأسرب هذه المعلومة بين الارهابيين، هكذا سنضعهم بين خيارين : إما أن يستسلموا ويسلموا الرهائن أو يقرروا القضاء على العباس مباشرة بعدما يرونه، يعني أننا سنقاتلهم في موقع التبادل وهذا سيكون في صالحنا.. الفكرة أضاءت في عقلي وبقي كيفية تنفيذها فقط، فكرت كثيرا وقررت الاتصال بنفسي بقائدهم، هذا بعد أن طلبت من ساري احضار رقمه لي؛ ساري لا يقف شيء أمامه في هذا المجال فقد اخترق النظام الأمريكي منذ زمن وأخذ منه معلومات كثيرة لازال يحتفظ بها ،ومن ضمنها أسماء العصابات وأسماء قادتها ومعلومات تفصيلية عنهم.. اتصلت به من رقم مجهول واضعا مبدل الصوت قرب فمي :

- لن أطيل معك الكلام؛ أنت تظن أن معلوماتكم سرية ولكن الأمر خلاف ذالك.. هذا الفتى الذي ستقبضون عليه هو من اخترق النظام الأمريكي الشهر الفارط وأطلق منه صاروخ.

- من تكون؟ من معي؟

- أمريكا تهتم لأمره كثيرا لذالك كلفوكم بهذه المهمة.. الفتى هو تحقيق لأسطورة الڤولدن وهو من أرسل لي معلوماتك كي أفضحكم أمام العالم. لن أفعل إلا إذا نفذت ما أطلبه منك، الڤولدن هو خطر على البشرية كلها وأريد

منك خفض رأسك طيلة العملية حتى لا ترى وجهه وبعدما يتم التبادل ارفع رأسك وأطلق على قلبه..

(قطعت الاتصال) الآن تبقّى شيء واحد علينا التأكد منه، وهو هل العباس يرتدي بدلة مضادة للرصاص أم لا ؟.

نحن ثمانية رجال متموضعون في الموقع المحدد منذ منتصف الليل، يعني 14 ساعة لم نتحرك من مكاننا، لأننا تناولنا دواءً اخترعناه لمثل هذه الظروف، دواءً يثبط الأمعاء فتتوقف عن العمل دون أن يضر هذا بخلايا الجسم.. متموضعين على مسافات متباعدة نرى القاصي والداني ، حيوانات برية مرت من فوق ظهورنا ولم تحس بنا، أفراد الإرهاب عقدوا اجتماعا خفيفا وسطنا ولم يلحظ أحدهم تواجدنا.. كنا نعدّهم واحدا واحدا ، عشرون إرهابيا فقط!! هل ستسير العملية بعشرين رجلا؟ لابد أن هناك بقية، أو ربما هم واثقون من أنفسهم أكثر من اللازم.. ظللنا هكذا حتى اقترب الموعد فحصل مالم يكن في الحسبان.

***

((اثنان جالسان في مقهي يتبادلان الحديث حول آخر الأخبار :

- ستتم المبادلة على الساعة الثانية ظهرا.. دولة بحجم الجزائر لا تستطيع التعامل مع بضعة ارهابيين؛ هذه مهزلة.

- ليس الأمر كما تظن ، ألم ترى الشعب كيف هو هائج بشأن الفتى ذاك والرهائن؟ لن يرضوا بغير أن يعود العباس ووالداها سالمين.

- متى كانت تهتم الدولة بشعبها!

- عندما تكون القضية قضية سمعة فإن الدول تكثف جهودها من أجل نملة حتى.))

((شخصيات مشهورة شاركت منشورا تنادي فيه الأمم المتحدة للتدخل وإيجاد حل لإنقاذ الرهائن))

((هاشتاج #أنقذوا_العباس_ووالديه تصدر الترند العالمي وترجم لعدة لغات))

***

قطعنا 200 كلم وتبقت 50 أخرى فقط ؛ اتجهنا شرقا حسب الموقع المنشود فقال لي الشرطي الذي كان بجانبي :" لم أتصور أن عندنا مساحات خالية كهذه لم تعرها الدولة اهتماما".. بعد أن وصلنا أتانا اتصال بأنهم غيروا مكان التبادل، مكان بعيد عنا الآن بمائة كلم ولن تستطيع السيارات قطعه في عشرين دقيقة.. اضطررنا لانزال مروحية كي يأخذونني فيها ، فشلت خطتنا ،لقد فكروا جيدا.

وصلنا الموقع على متن المروحية وكان هناك ما يقارب الأربعين رجلا منتشرون في أماكن متباعدة تستطيع رؤيتهم بوضوح من فوق المروحية.. اختفت الغيوم

منذ زمن ولا فائدة من خطة المباغتة، كيف سأنجو من هذا؟ إنهم يفوقوننا عدداً! وضع باسم يده على كتفي وقال :

- لن يؤذوا الرهائن ، لا تقلق.

- مالذي يجعلك واثقا من هذا؟

- فكر قليلا، هذه القضية لو تمادوا فيها فسيجلبون غضب العالم عليهم.. سنسلمك لهم لكن أنا متأكد أن الرئيس سيجد حلا لإنقاذك.

عندما لامست المروحية الأرض صفع الهواء الساخن المنعش وجهي وانتابني رعب كبير، لم أدري أنني سأخاف يوما من بشري ولكن هذا ما حصل الآن، رجال ملثمون ويحملون بنادق يوجهونها نحونا.. قال أحدهم بثقة :

-سلمونا العباس وخذوا الرهينتين، هكذا كي لا يتأذى أحد .. عملنا مع هذا الفتى وليس مع أحد منكم.

كنت أرى أبوي في وسطهم مغمض العينين ومكمما الفم، تمنيت لو أني أقتلهم جميعا وأذهب لأعانقهما ولكن ليس بيدي حيلة.. رغم هذا الوضع لازال باسم شجاع القلب واللسان فرد عليهم قائلا :" سنسلمه، لكن إياكم أن تقتلوه لأنكم ستندمون بعدها بساعات قليلة فقط.. هذا كلام رئيسي ولا تنسوا أن هذا الفتى اخترق معلوماتكم من قبل وهي بيدنا الآن، فلا تفكروا في قتله، ستحين المبادلة التالية قريبا".. لا أظنهم أخذوا كلامه على محمل الجد ولكن نبرة باسم تهز قلوب العدو مهما كان. غريب! لماذا قائدهم ينظر إلى الأرض ولا يرفع رأسه؟ هل يتحاشى رؤيتي أم ماذا؟.. دفعوا إلينا الرهينتين

وذهبت أنا مسلّما نفسي لهم، سنرى ماذا سيفعلون، لدي بزة مضادة للرصاص وأستطيع قتل ثلاثة منهم أو أربعة لكن عددهم كبير للأسف.. أمر قائدهم بوضع غطاء على رأسي لأغرق في الظلام مدة طويلة ، عندما اختفت ملامحي رفع الرجل رأسه وأمر رجاله بصعود السيارات، لم تكن هذه هي الأوامر التي تلقاها ولكنه خطط لأشياء أخرى بنفسه.

عندما وصل الناس بسياراتهم إلى الموقع كان باسم قد أخذ أبوي إلى مكان آمن، وكنت أنا قد ذهبت مع الارهابيين نخترق الرف الموحش إلى المجهول.. عندها اهتز العالم بخبرين : "خبر سلامة الرهائن وخبر اختفاء العباس"، حتى المخابرات فقدوا كل أثر لي بسبب أنهم نزعوا عني ملابسي في وسط الصحراء وألبسوني رداءً بنيا خفيفا ورغم هذا لم ينزعوا الغطاء من على رأسي، تأكدت بعدها أنهم لا يريدون رؤية وجهي أو ربما قائدهم فحسب.. تركوني هكذا مغطى الرأس أياما عدة حتى حسبت نفسي سأكمل حياتي في هذا الظلام، في اليوم الثاني غصت في تفاصيل كثيرة حدثت معي منذ كنت في الابتدائية، تفاصيل جعلتني في عالم آخر لا أسمع حتى من يناديني. عالم لا أتمنى لأحدكم أن يدخله.

-بعد يوم من البحث المتواصل لم يجدوا ولو أثرا.. آلاف الهكتارات الشاسعة ، لو خطى فيها انسان مائة خطوة لن يعرف طريق العودة.. كل هذه المساحات لو استغلتها الدولة لحكمت العالم لكن هيهات، حارة نهارا وباردة ليلا وتصلح للزراعة أيضاً فماذا ينقصها؟.. لا يهم فالدولة تعاني الآن في تمشيط هذه المساحات وتستحق ذالك.

من جهة أخرى عقد الرئيس اجتماعا عاجلا ليقرروا شيئا :

- البحث متواصل عن مقر العصابة ولا شيء جديدا.. ماذا تقولون لو اقتحمنا مقرهم اليوم، أعلم أنكم عارضتم المرة الفارطة لكن الوضع يزداد حرجا.

- خليلة : أنا كنت معارضة للفكرة من أولها، وأظن أننا ندفع ثمن تهورنا.

- عبد الجليل : فلنهاجم مقرهم وننفذ خطة زينو.

- باسم : أرى أن ننتظر.. سيأتون هم ليفاوضوا عليه.

- زينو : (غاضبا) مالذي يجعلك تتأكد من هذا؟.. أنت عضو جديد هنا ولا أظنك تعرف كيف تسير الأمور.

- الرئيس : أخبرنا بوجهة نظرك يا باسم.

- باسم : كي أكون صريحا معكم فقد تسللت لوسطهم قبل أيام ورأيت عبد الجليل أسيرا عندهم..

-زينو : (غاضبا مجددا) لماذا لم تنقذه إذاً؟.

- باسم : أنت تقاطع حديثي لذالك دع غضبك إلى الآخر... علمت مكان مقرهم من صديق لي ورحت أتجسس عليهم إلى أن وجدت صدفة أحدهم يشبهني كثيرا فباغته وقتلته ثم تنكرت بهيأته ، بقيت يوما بينهم إلى أن شك أحدهم فيَّ فهربت من هناك.

-عبد الجليل : ماذا رأيت أيضاً وماذا سمعت؟

- باسم : رأيت المخابراتي الذي أرسلته أمريكا، يحمل اسم عادل ويهابونه كثيرا، ثم فهو ذكي جدا ومخطط بارع.. أما مربط الفرس فبعد أن اخترق العباس نظامهم أرسلوا هذا الرجل ليتم المهمة الناقصة، وهناك سر خطير يخفونه؛ هو أسطورة الثولدن... أسطورة الثولدن هي أمريكية الأصل وتعود إلى ما قبل خمسة قرون حيث يعتقدون أن هناك بوابات تقود لعالم آخر حيث الوحوش الضارية.. يقال أن هناك بوابة اسمها ثولدن ستفتح لو علم خمسة عشر شخصا بأمر الثولدن، وبالطبع سيموت كل من يعرف.. هذا الأمريكي الذي أتى يؤمن بهذه الأسطورة وأن الثولدن هو العباس، لهذا هو يريد قتله انتقاما وانقاذا للبشرية - كما يزعم -.

-خليلة : بماذا يفسرون موت العدد المحدد ولم يحصل شيء؟

- باسم : لا أعلم.. المهم أنهم أرادوا قتله قبل أن يروه لذالك كان زعيم الإرهابيين مطأطأ رأسه ولذلك أيضاً غطوا رأس العباس.. أعيد وأكرر : لا أظنهم سيقتلونه.

- خليلة : فهمنا، لكن مالسبب؟

- زينو : هنا اتضح كل شيء.. استعانوا بالإرهابيين كي يستطيعوا قتله دون أن يروه، وحصل أن زعيم الإرهابيين وحده على علم بالأمر.. من أخبره؟ هناك طرف ثالث بلا ريب. ثم بما أنه قد أخذه وعصى أوامر الأمريكي فهناك

احتمالين : اما أن الطرف الثالث هدده بعدم قتله أو ربما لديه مصلحة من تركه حيا.

- باسم : هذا ما فكرت فيه أنا أيضاً.. اذا علمنا من هو الطرف الثالث سنستطيع انقاذ العباس.

-الرئيس : (ينظر نحو الشاشة المعلقة على الجدار) الطرف الثالث هو منظمة البوراي.. انظروا إلى التسجيل الجديد.

- عبد الجليل : إنه ساري!! مالذي يحاول فعله؟

- زينو : هذا ساري عضو منظمة البوراي!.. معلومات مهمة عنهم!، وصلت يدهم إلى أمريكا إذاً!.

- الرئيس : ما يجعلهم أقوياء هو أنهم مستقلون غير تابعين لأية جهة وحتى أعضائها يعملون بمبدأ (الغاية تبرر الوسيلة).. المهم أنهم الآن يعملون في صفنا.. دعونا نشاهد ماذا سيحدث في الساعات القادمة.

- أحد العملاء : لدي اقتراح يا سيدي.. ما رأيكم أن نتواصل مع ساري ونطلب منه مبادلة العباس بفدية.

- الرئيس : هذه فكرة جيدة.. لكن لن نبذر مالا في سبيل قضية سهلة كهذه.. سنقبض عليهم في نهاية المطاف فلا تقلق..

***

بعدما وضعت خطتي – أنا شاهين – وانتظرنا في موقع التبادل ظهر أنهم غيروه في آخر لحظة، وضعونا في ورطة حقيقية وما كان منا الا أن لحقنا بهم بمروحية لعلنا نصل ولكن كنا متأخرين قليلا فشاهدنا عملية التبادل تحدث من بعيد.. كان بوسعنا اللحاق بسياراتهم ولكن ان أحسوا بخطر فقد يعدلون عن رأيهم ويقتلون العباس، آثرنا التراجع حتى لا يكشف صوت المروحية أمرنا.. الآن بينما كنت أفكر في خطة جديدة اتصل بي ساري مجددا قائلا :"لدي فكرة جيدة.. راقب فحسب".. لم أدري ماذا سيفعل لكن طوال هذا اليوم لم يحصل شيء ؛إلى اليوم الموالي ظهر تسجيل لساري يقول فيه (....).

أنا ساري.. كنت معلقا الآمال في شاهين أنه سينقذ العباس لكنه فشل في المهمة وحق له أن يفشل لأن العصابة خدعتنا جميعا، من كان يتصور أنهم سيغيرون مكان التبادل!! بعدما سمعت زوجتي بالخبر صرخت في وجهي - لأول مرة -، كنت وعدتها أن الأمور ستكون تحت السيطرة لكني أخلفت بوعدي والآن علي تصحيح خطئي.. كنت قد أخذت من قبل معلومات عندما اخترقت نظامهم، معلومات سرية للغاية كمخازن المؤن و المواقع السرية وأسماء القادة وحلفاءهم ومعلومات تفصيلية عنهم؛ كل هذا حان وقت استخدامه.. ناديت زوجتي وطلبت منها احضار الكاميرا ثم :

-سناء : لماذا لا تضع قناعا كي تخفي وجهك؟

- أهم شيء لإرعاب الخصم هو مواجهته وجها لوجه.. اضغطي زر التسجيل كي أعيد الفيديو اذا لم أجد نفسي وسيما فيه.

- (وهي تعدل ضبط الكاميرا) هههه أنت دائما وسيم في عيني.

- (بدأ التسجيل) " بدون مقدمات، لعلكم تعرفون منظمة البوراي وتعرفون من أكون لأني أشهر من نار على علم.. لن أطيل عليكم يا مختطفي العباس، لا أعلم ان كان حيا أو ميتا لكن ان لم تظهروه خلال الأربع والعشرين ساعة المقبلة سأنشر كل معلوماتكم على العلن وقد أعذر من أنذر."

اتصلت حنين بزوجتي تخبرها أن الفيديو الخاص بي تصدر الترند هههه لسنا نتابع الأخبار وهذه عادة سيئة يجب علينا التخلص منها.. في نفس الوقت اتصل بي رئيس منظمتنا قائلا لي :

-لماذا تعمل وتتكلم باسم منظمتنا دون اذن؟

- أنت علمتنا أن الغاية تبرر الوسيلة وغايتي هي إنقاذ صديقي.

-حسنا ، أردت سماع هذا منك.. كن حذرا أكثر فأنت هدفهم الرئيسي الآن.

بالطبع أخذت بنصيحة الزعيم وغيرت مكان سكني.. لا أعلم كم سيصير عدد من يستهدفونني الآن، على كُلٍّ فلن أموت قبل أجلي وهذا ما يريحني.

***

في العالم الآخر كانت ذكرياتي تمر أمام عيني مرارا وتكرارا وحتى ذكريات أشخاص آخرين تتعلق بي (هنا علمت قصة زهرة واهتمامها بي)؛ أحداث كنت أصدم في كثير منها. عادت بي الذاكرة إلى سن الرابعة ابتدائي حيث كنت ألعب مع أقراني أحيانا رغم سخريتهم مني. في ساحة المدرسة دفعني أحدهم متعمدا

فسقطت على البلاط وآلمتني يدي كثيرا، أتذكر هذا اليوم فقد كان آخر يوم في الموسم الدراسي وبدل أن أفرح بمعدلي ذهبت متألما إلى بيتي وأمي تسألني عن ماذا حصل لي وأنا أجيب بكلمة واحدة :"سقطت"، في ما بعد تبين أن جزءا من عظمة الساعد قد تحطم.. سألوني مرارا :"من قام بدفعك؟" وأنا كنت أجيب :"لا أحد". جبان أنا ولازلت، خفت أن ينتقم مني الأولاد لو وشيت بهم.. لم تؤلمني يدي بقدر ما آلمني قلبي.. الأطفال في مثل سني يحلمون بألعاب أو ملابس جديدة وأنا أحلم بقليل من القوة والشجاعة، قليل فقط أواجه به مخاوفي.

تلاشى هذا المقطع من أمامي وظهر آخر : في السنة الثانية ابتدائي كان الجو غائما - أظنكم تعرفون فرحة الأطفال بالغيوم لأن المطر يعقبها غالبا - لكني لم أذق طعم السعادة بسبب أني عندما خرجت من القسم اجتمع علي ثلاثة أولاد من كبار المدرسة وفي أيديهم قارورات ماء فارغة يدورون حولي ويتناوبون على ضرب رأسي، ألم الضرب وصوتهم المزعج - كضباع تنافس أسدا على فريسة - لازال محفورا في رأسي.. اختفى هذا المقطع أيضاً ليظهر آخر : في سن الثالثة ابتدائي ضرب بعض الفتية من صف الخامسة أختي حتى سال الدم من أنفها فوقفت أمامهم لأول مرة فأمسكت أختي بيدي قائلة :"لن تقدر عليهم، ابتعد كي لا يؤذوك أنت أيضاً" ؛ أختي في هذا الوضع تريد حمايتي بدلا من أن أحميها أنا؛ هذا الموقف يدمي قلبي كلما تذكرته، كبرت أنا، وأختي توفيت في ذالك العام بفيروس نادر. لو أنها حية لأريتها كيف أني أصبحت شجاعا.. اختفى هذا المشهد وظهر آخر : في أول عام لي في المتوسطة كنت آمل أن أجد أناسا طيبين لكن ظهر عكس ذالك؛ فتية أشد بطشا من فتية

الابتدائية؛ أربعة أعوام سأقضيها مع هؤلاء؟ هذا غير ممكن! ترجيت أبي كثيرا أن يأخذني لمدرسة أخرى لكنه رفض، لم يكونوا يعلمون بمعاناتي اليومية، أو ربما علموا فقالوا :"يكبر وينسى" أكثر كلمة صادقة وكاذبة في نفس الوقت، نحن ننسى الألم كلما تقدم بنا الزمن وهذا صحيح ولكن ألم تسألوا أنفسكم عن ذالك الألم أين ذهب؟ إنه بداخلنا سيظهر بطريقة أخرى أكثر بشاعة.. اختفي هذا المقطع وظهر آخر وآخر وفي كل مرة يؤلمني قلبي أكثر، كأن آلامي الداخلية تخرج دفعة واحدة؛ تخرج! أتمنى ذالك لعل حالي يتحسن.. كل مقطع كالحلم، تراه قصيرا لكن عندما ينتهي تجد نفسك استغرقت فيه 6 ساعات أو أكثر؛ ربما استغرق كل مقطع ساعة أو ساعتين في العالم الحقيقي!.. هكذا أنا قضيت في هذه المقاطع يومان لم أرَ النور فيها، من يدري! ، عيناي ذابلتان وعقلي في مكان آخر.

***

قبل العملية اتصل بي أحدهم يعرف اسمي ورقم هاتفي، لا أدري من يكون لكنه خطير وقادر على تدميري، أخبرني بسر العملية ولماذا طلبوا منا تنفيذها نحن.. يستهدفون ڤولدن ولا يريدون رؤيته!! قال أن علي قتله كي أنقذ البشرية لكن ما لفائدة من ذالك لو كان يظهر ڤولدن كل عشر سنوات.. هناك ما يفوق 7 مليار بشري ولا أظنك ستفلح في ايجاد واحد، هذه حالة نادرة ولا يجب اهدارها؛ يمكننا استجوابه وأخذ معلومات كثيرة عن هذه الأسطورة.. هكذا فكرت وأعلم أن أمريكا سترفض هذا لذالك سأضع خطة بمفردي. جمعت الرجال في موقع التبادل وقلت لهم بصوت حازم :" لن تطلق رصاصة

واحدة اليوم، ستسير الأمور كما هو مخطط لها.. سنأخذ العباس إلى مخبئنا ولن يعلم بشأنه هؤلاء الأمريكيون، إن سألونا سنقول أننا قتلناه.. مفهوم ؟" قالوا بصوت واحد :"مفهوم".. ثم أمرتهم بتغطية رأسه بقماش عندما نأخذه وكان هذا ما حصل. قائدهم قال أن لا نقتله وإلا ندمنا وأن علينا الانتظار.. حسنا ، أصلا هذا ما أريده أنا أيضاً.

في هذه الهكتارات الشاسعة هناك باب صغير مغطى بالرمال بطول المتر وعرض النصف متر يقود إلى أسفل.. نزلنا السلالم درجة درجة الى عمق خمسة أمتار، المكان مضاء بالشموع وعلى جدرانه رسومات كثيرة منقوشة، هذا مخبئنا حيث نعيش ونضع الخطط؛ مكان لا تبلغه الدولة ولو بلغته لما وجدت شيئا.. وضعنا العباس هناك في الزاوية وأعطيناه قليلا من الطعام ورحت أستجوبه؛ أسأله فلا يجيب!! لا أستطيع نزع القماش كي لا أرى وجهه وأصبح في خبر كان؛ ربما هو نائم، سأنتظره حتى يستيقظ - وليتني لم أنتظر -.. بعد ساعة أردت ايقاظه فلا يستجيب، أصرخ وأضربه ولا حراك يبديه، لمست قلبه دقاته منتظمة، أين الخلل!. ناديت أحد أتباعي لينزع القناع ويرى ما به، ابتعدت عنهما قليلا وبعد دقيقتين أتاني وقال لي :"عيناه مفتوحتان لكن المقلتان لا تتحركان، ربما أصيب بصدمة أو ما شابه".. أمرته بإعادة القناع لوجهه ثم ألقيت نظرة على جسده ورحت أفكر في ماذا سأفعل؟ قبضت عليه كي يفيدني في شيء ولكني سأجلب غضب أمريكا علي ان علمت بالأمر، وفي نفس الوقت لن أستفيد منه وهو في هذه الحالة؛ هل أقتله وأرتاح من وجع الرأس؟ سأعطيه مهلة يوم وإن لم يستيقظ سأتخلص منه، هذا هو قراري النهائي.

بعد واحد وعشرين ساعة وبواسطة الهواتف التي نحملها والشبكة المجانية المرسلة لنا من القمر الاصطناعي رأينا على مواقع التواصل فيديو لعضو من منظمة البوراي يهددنا فيه أن نُظهر الفتى وإلا سيكشف أسرارنا! هذا ما كان ينقصني؛ ماذا سأفعل الآن ؟وقعت بين المطرقة والسندان ، لو أظهرت لهم العباس سيعلم الزعماء أنني لم أقتله، ولو ادعيت موته سينشرون أسراري ويتحطم مستقبلي! هل عليّ الانتظار؟ سأتصل بالزعماء لأسألهم ماذا أفعل.. حملت هاتفي وقد تبقت في بطاريته عشر درجات من المائة – سيتعين عليّ السفر مسافة 100 كلم لأشحنه – اتصلت بعادل فقال :

- نحن الآن نحاول قتل صاحب الفيديو لكننا لم نجده في منزله.. ان لم نستطع الإمساك به قبل الأربع والعشرين ساعة فسنصور فيديو نريهم أن العباس حي، سنأتي بفتى يشبهه.

- إن أردتم تصوير فيديو فدع الأمر لي يا سيدي.

وافق على طلبي وهذا ما أردته.. تبقت ثلاثة ساعات على انتهاء مهلتي للعباس كي يستيقظ ولكنها ألغيت الآن، سننتظر حتى تمضي مهلة ذالك الوغد، مهلا! لم يتحرك الفتى حتى الآن! ولا شعرة منه حتى! هل هناك صدمة تسبب هذا! أم أنها احدى علامات الڤولدن!

انتهت المدة الآن ولم يأتني أي اتصال من عادل – حريٌّ بالذكر أننا انتقلنا إلى مقرنا الثاني حيث الكهرباء متوفرة فترى النفق مضاءً بأكمله، وعلى الجدار مقابس للشحن، في صالة واسعة تحت الأرض لا يعلم بشأنها أحد – أخذت

الهاتف واتصلت بعادل أسأله ماذا أفعل فظهر أنه لم ينتبه للوقت وهو يمر، هذا لأنه ليس في مهمة هذه الأيام فمنذ قتلنا للعباس – حسب ظنه – انتهى عمله هنا وعاد لأمريكا.. قال أن أسجل الفيديو بسرعة فطلبت من أحد الرجال حمل الكاميرا وارتديت قناعي الأسود وهناك حيث وضعنا العباس سلطنا الأضواء عليه ودخلت في مجال التصوير وقلت : " العباس في يدنا ولازال على قيد الحياة، إن كان لديكم شيء ثمين تقايضوننا به فمرحباً وإلا سنقتله ولتنشروا ما تريدون فلن يؤثر بنا شيئا.. لديكم ثلاث ساعات لاتخاذ قراركم" (انتهى التسجيل) نشرته على فيسبوك بحساب مزيف محمي لا يستطيع أحد الوصول إليه وإذ به يضج على مواقع التواصل ويبث الرعب في قلوب الناس ويطالبون الدولة بدفع فدية وانقاذه.. لماذا يحبونه كل هذا الحب؟ هل لأنه أنقذ أرواحا في عين صالح؟ هل أصبح الحب وليد المصلحة! ان لم تسدي لي معروفا كبيرا فلن أحبك، هذا هو تفكير الناس.. لو أنهم علموا بأنه وراء مقتل الخمسة عشر شخصا لطالبونا بقتله فورا، "الحب وليد المصلحة" لعلها أصدق مقولة قلتها.. على كل حال سننتظر ردهم، سينتهي وجع الرأس عما قريب.

***

- هؤلاء الارهابيون لا يخافون من افتضاح أمرهم.. بماذا سنبادلهم؟

- حان الوقت لنهاجم مقرهم، مادام حسابهم مع منظمة البوراي فلن ينتقموا من العباس ان باغتنا رفاقهم.. أخبر قائد القوات الخاصة أن يداهموا الموقع.

- أمرك يا سيدي.

تدخلت خليلة في الحديث قائلة :"على الأقل نحن نعلم الآن أن العباس حي"، ضحك زينو بطرف فمه وقال :" ليس بعد.. ربما الفتى في الفيديو ليس هو".. احتدت نظرات الجميع لأنهم لم يفكروا في هذا الاحتمال؛ إن رئيسهم على حق فقد حان وقت الهجوم.

بعد نصف ساعة أتى خبر من فرقة القوات الخاصة مفاده :" داهمنا الموقع كما أُمرنا، أسرنا سبعة عشر شخصا وقتل اثنان في الاشتباكات.. رجال عاديون لم نجد زعيمهم، على الأرجح أنه غادر منذ زمن."..

- سبعة عشر شخصا من العصابة والخاطفون من الارهاب، يعني أننا لن نستفيد منهم شيئا.. مهلا! نستطيع اخماد غضب الشعب مؤقتا، أيها العميل! مُرهم أن ينشروا خبر القبض على رجال من العصابة متورطين في خطف الرهائن، هكذا ستزداد ثقة الشعب قليلا في دولته.

-عميل آخر : سيدي، هناك خطاب من الرئيس الأمريكي على المباشر .. سأعرضه على الشاشة.

الرئيس الأمريكي (الكلام مترجم) :" نحن ندين وبشدة ما يحصل في دولة الجزائر من إجرام إرهابي بحق طفل صغير.. سنبذل قصارى جهدنا حتى يتم لمُّ شمل العباس مع أسرته"

- هذا الخسيس، لازال لديه وجه ويعرض نفسه كسوبر مان.. أتمنى أن تنشر منظمة البوراي تلك المعلومات كي يكشف نفاقكم للعلن.

- هناك خطاب آخر من ساري يرد فيه على آخر تصريح للإرهابيين، سأعرضه الآن :" يبدو أنكم شجعان بما يكفي لتتحدونا، لكن بما أن العباس لازال حيا فسنبادلكم إياه بشخص مهم لكم جدا، شخص قادر على فضح جميع ألاعيبكم، لن أكشف وجهه للعلن لكن سأكتفي بذكر اسمه وهو (عادل).. أنا من أضع الشروط هنا، مكان التبادل هو 200 كلم من ورقلة نحو اليزي ثم 50 كلم شرقا، نلتقي بعد خمس ساعات، أعلم أنكم لستم بعيدين عن الموقع.. اذا تأخرتم دقيقة واحدة سننفذ تهديدنا.".

- مرّ على خطاب الارهاب الأخير عشر ساعات، عشر ساعات قبضوا فيها على ذالك الأمريكي!.

- هناك خطاب آخر من ساري موجه للدولة سأقوم بعرضه :" ستترك لكم المنظمة أمر إجراء عملية التبادل، الرهينة ستسلم لكم في الموقع.. لا تسودوا وجوهنا مجددا "

- ههه هذا المتعجرف يلعب على الوتر الحساس.. هو يعلم أن الدولة ليست عاجزة ولكن القضية قضية سمعة وتحتاج ذكاء وحذرا كبيرين لهذا هو يريد رفع شأن منظمتهم ولو على حسابنا.. سنريهم أننا لسنا بضعفاء. عندما تتم عملية التبادل سنهاجمهم ونقبض عليهم جميعهم ونري للعالم شدة بأسنا.

- هناك خبر آخر يا سيدي، هذه المرة من الدولة العليا، يقولون فيه :" بقرار من الدولة تم اخراج القضية من يد المخابرات إلى الجيش وتشكركم على مجهوداتكم".

(ضرب الرئيس الطاولة غاضبا) – عندما اقتربنا من هدفنا قاموا بإبعادنا.. تبا!.. مرُ جميع العملاء بالانسحاب من الأماكن الحساسة، مهمة انقاذ العباس خرجت من يدنا.

-خليلة : هل حقا سنترك المهمة لرجال الشرطة!

- ما باليد حيلة، سنراقب فحسب.

-باسم : لا تقلقوا؛ سأحرص على عودته كما أعدت أبويه.. هناك شيء ما أخفيته عنكم حتى الآن؛ المسؤول عن عملية تتبع العصابة وقتل رجالها هو صديق لي وأستطيع المفاهمة معه.. سنجري نحن عملية التبادل ونضمن لكم نجاحها ان شاء الله.

- (وضع الرئيس يده على كتف باسم وقال) :نحن نعتمد عليك.

***

بينما أنا وزوجتي جالسين في منزلنا الجديد نشرب الشاي، دق الباب شخص ما فقمت لأنظر من هو وإذ بزوجتي سناء تمسك يدي وتقول :"كن حذرا، ربما أحد الأعداء" فطمأنتها أن لا داعي لقلقها.. رحت أنظر من ثقب الباب وإذ بعشرة رجال ملثمين خلفه، ههه لي مدة طويلة لم أمرح فيها.. فتحت لهم بلطف وقلت بعفوية مفتعلة :"أهلاً بكم، خيرا أتى بكم!"، دفعني قائدهم بيده مبعدا إياي عن طريقه وتسلل إلى الداخل حذرا وتبعه الرجال من خلفه الا واحدا وضع المسدس على قلبي فقلت :" لا يجوز لك هذا، زوجتي في الداخل

إياك أن ترعبها". غضب وقال :"لست في وضع يسمح لك بالتهديد؛ أنت تحت قبضتنا الآن".. الغبي! يظن أنه في وضع المسيطر. تراجعت خطوة للوراء وصرخت على زوجتي :" سناء! أكرمي ضيوفنا"، فانطلقت على حين غرة رصاصات من ثقوب الجدران أسقطت العشرة رجال أرضا.. كلهم ماتوا الا قائدهم أصابت الرصاصة قدمه، تقدمت نحوه بثقة وقلت :" هل ظننت أن صيدنا سهل مادامت أسماؤنا مكشوفة للعلن؟" ضربت يده الممسكة بالمسدس قبل أن ينوي استعمالها فقال :

- خدعتنا.. تختار سكنا بسيطا مبنيا بالطوب الأحمر كي لا يشك أحد في نظام الحماية المزروع فيه.

- لست الأول ولست الأخير.. هذه الخدعة تنطلي على أغلب سكان الأرض وحتى لو اكتشفتها لرأيت مفاجآت أخرى.

ربطته في عمود وتخلصت من جثث التسع رجال ثم أمرت سناء أن تجهز نفسها لنغير المنزل مجددا.. أخذنا هذا الرجل معنا بعد أن غيرت له ملابسه، إلى منزلنا الجديد - حيث سأستجوبه وأنا مرتاح البال -.. أحضرت سكينة مطبخ وموقد صغير، عندما رأى هذا قال بتعجرف :

- ستعد لي لحما مشويا! أنت كريم جدا.

- بالطبع ،لكن ستأكل لحمك.

وضعت السكينة على النار كي يحمى حديدها ورحت أسأله :

- ما اسمك؟ ولصالح من تعمل؟

- هل جَهُز اللحم أم ليس بعد ؟

أخذت الحديدة واضعا إياها على جرحه حيث أصابت الرصاصة قدمه فاكتوى ألما.. أعدتها مجددا فوق الموقد وقلت :

- هذه كي أوقف نزيف الدم، لا أريدك أن تموت قبل أن أستعملك.

-هههه تريد ملاطفتي لأخبرك ببعض المعلومات! أنت تحلم.

- أنت أوقعت نفسك مع شخص أقوى منك، متى تتعلمون أيها الأمريكيون أنكم لستم العرق الأعلى ولا حتى متفوقون علينا..

- ما أدراك أنني أمريكي؟ ربما أكون ألمانيا أو فرنسيا.

- أمريكي من المخابرات، اسمك الحقيقي (جون فيل) واسمك العربي المستعار هو (عادل).. هل أزيدك أم يكفي؟

- أنت تهذي.. إرباكي ليس بالشيء السهل، تستطيع الهذيان من الآن إلى الغد.

- أرسلتك دولتكم للقضاء على الڤولدن الذي اخترق نظامكم.. فتى في عمر الزهور تعتقدون أنه ڤولدن وأنه وراء موت الضحايا الخمسة عشر.

بدا الارتباك على وجهه؛ يبدو أن غروره تحطم الآن.. قلت له :

-أتيت إلي كي تقطع أنفاسي لكنك أسأت تقديري.. على كل حال فقد كذبتُ عندما قلت لك أني أريد استجوابك. كنت أفكر في ماذا سأبادل العباس وها هو الحل أتى على قدميه هههه..

أخذت السكينة من فوق النار وأدخلتها في قدمه – من دون شفقة – وأخرجت الرصاصة الماكثة هناك..

طلبت من سناء أن تأتيني بالكاميرا مجددا.. مرت عشر ساعات على خطابهم وأتى وقت الخطاب الأخير ؛ وضعت قناعا على وجهه وأخذت الكاميرا وسجلت فيديو على طريقتهم.. لم يلبث التسجيل كثيرا في مواقع التواصل حتى تصدر هاشتاغ (#فلتحيا_البوراي) الترند.. هههه أصبحت مشهورا حتى أن صورتي انتشرت بين الناس وأصبحوا يضعونها على ملفهم الشخصي، لهذا كنت أسأل سناء دائما عن وضعيتي أمام الكاميرا هل أنا وسيم أم لا.. اتصلت بعدها بشاهين أخبره :

- لقد أعدتُ المياه إلى مجاريها.. تستطيع الآن إكمال مهمتك.

- لكن ألم تقل للدولة أنك تركت لها اتمام العملية؟

- تلك خطة مني لا غير، سيظن الارهابيون أن عدوهم في موقع التبادل هو الجيش فقط ولن يحسبوا أي حساب لمنظمتنا.. هل ابتعدتم عن الموقع خلال هذه اليومين؟

- اممم طيب.. لا، لم نبتعد؛ كنا ننتظر طرف خيط نمسكه، أنت تعرف أننا أعضاء المنظمة لا نعود حتى نكمل المهمة.

- شجاع كعادتك هيه.. المهم ،لدي لك خطة جميلة نتأكد بها من صدق ظن العصابة أم كذبه.

- أعلم في ما تفكر وقد فكرت في الأمر أنا أيضاً.

- هيه سننزع قناع العباس أمام زعيمهم لنرى هل العباس ڤولدن أم لا.

- هناك شيء وحيد خطر، لا نعلم سرعة تلك المخلوقات فلربما نفتح على أنفسنا والبشرية باب جحيم.

- لابد من المخاطرة... (انتهى الاتصال)

***

لازلت – أنا العباس – في ذالك العالم تعرض أمامي ذكرياتي المُرّة فقط ،هذه المرة عاد بي إلى سن الخامسة ابتدائي عندما نلت الشهادة؛ جعلت لي أمي حفلا صغيرا ودعوت بعض أصدقائي – لدي أصدقاء لكنهم قلة – حضر المدعوون جميعهم وحضر فتى آخر لم أقم بدعوته، فتى ليس من أصدقائي ولا من المتنمرين علي، سألني :"هل أنا مدعو أيضاً؟" فزجرته قائلا:" لا ؛ ارحل"؛ خرج من بيتنا ناكسا رأسه وأنا خجلت من نفسي في ما بعد؛ هذه ال(في ما بعد) هي سن الثالثة متوسط - يعني بعد ثلاث سنوات -.. ندمت على فعلتي وعلمت أن الله عاقبني بآخرين أشد بأسا يسخرون مني؛ تمنيت لو أني أعتذر منه وأجعل له حفلا خصيصا له؛ تمنيت لو يعود بي الزمن وأدخله

وأكرمه لكن الأوان قد فات وهو الآن في قبره؛ مات قبل سنة بعد أن سقط عليه جدار طيني..

اختفى هذا المشهد وظهر آخر : في نفس السن خرج المعلم من القسم وطلب مني كتابة اسم كل من يصدر صوتا على ورقة وعندما يعود سيعاقبهم.. كان يسمع صوت الصراخ واللعب وهو في الإدارة يخرج بعض الأوراق وعندما يعود يجد الورقة في يدي فارغة فيقوم بمعاقبتي.. لم تكن لدي الجرأة لكتابة اسم أحد؛ كنت جبانا جدا ولازلت؛ حتى بنات الصف كنت أخاف منهم؛ كلهم مرعبون، أنا الجبان الوحيد الذي يبكي كل يوم حتى وصفوني بالبكّاء.. ماهي ردة فعلك لو أعيدت لك كل المواقف المؤلمة في الماضي بنفس الشعور؛ جميعها تعاد لك في يوم واحد؟ لهذا لا أتمنى لأحدكم أن يدخل هذا العالم.

اختفى المشهد ليظهر آخر : في الثانية متوسط كانت تدرس معي تلك الفتاة الجميلة التي درست معكم جميعكم؛ لن أخفي عنكم أنني أعجبت بها لكني لا أستطيع الحديث معها، جميع من في الصف يكلمها وأحيانا تضحك معه لكن أنا أتمنى هذا ليل نهار؛ في أحد الأيام انتابتني شجاعة مفاجِئة لأفعل فتقدمت نحوها وطلبت منها قلما أخضرا - لدي جميع الأقلام بالمناسبة - فأعطته لي، أحسست أنها وقعت في حبي وأني صرت فارس أحلامها لكن عندما أعدته لها وابتسمت في وجهها أدارت رأسها وعليه علامات الاحتقار، علمت حينها أنني لا أصلح لشيء، أمنيتي الوحيدة تحطمت أمامي.. لو أني تذكرت هذا الموقف وأنا بهذا السن لضحكت على نفسي وسذاجتي، لكني أراها كأني بذلك العمر، أراها بنفس الشعور.

اختفى المشهد فظهر آخر : قبل سنة كنت خارجا من المدرسة وأولئك الفتية غاضبون مني بسبب أني تجاهلتهم، فكرت لو أني تجاهلت شخصا سأكون قد هزمته ويتركني وشأني، أردت تطبيق المثل الشعبي المنتشر عندنا: (احقر الحمار يفهم راسو)، للأسف فهذا المثل لا ينطبق عليهم، ربما لأني ليسوا حميرا أو ربما المثل خاطئ أو ربما قد تخطوا درجة الحمارية منذ زمن بعيد.. هم غاضبون الآن وعلي إيجاد حل للهرب. قلت في نفسي :"هم يعرفون أني أسلك الطريق الطويل عندما أكون في خطر وسيفكرون أني سأخدعهم وأسلك الطريق المختصر لذالك سأخالف تفكيرهم وأسلك الطويل"؛ لو كانوا أذكياء لانطلت عليهم الخدعة، لكنهم حمير لا يفكرون، نجحوا هم في القبض علي ووقعت أنا في شر تفلسفي.. ها هم يضربونني على رأسي وجسدي، أعرف هذا المشهد! إنه السبب في جعلي أهرب من المنزل.

اختفى المشهد ليظهر آخر من جديد : رجل جالس في مقهى يستمتع ببعض القهوة وكأنه لم يذقها منذ شهر، هذا احتمال غير مستبعد، ألا ترون حالته الرثة! كأنه قادم من أقسى مكان على وجه الأرض. هذه الملامح كأني رأيتها من قبل! اااه إنه أحمد القاطن بمصر، هل تغيرت المشاهد لذكريات أناس آخرين؟.. دخل رجل آخر لذالك المقهى متجها نحو أحمد بروح متحمسة لقول شيء وعلى وجهه البشارة، جلس على الكرسي الذي أمامه وأمسك بيديه وقال :"خبر سعيد، يقولون أن هناك طفلاً مشوها قدِم من الجزائر وهو الآن في الثكنة العسكرية القريبة من هنا. اذهب وانظر هل هو ابنك أم لا"؛ هلل وجه أحمد فجأة وراح يهرول خارجا يتخبط في المارة كأنه سكّير، عندما وصل أمام الباب قال للحارس :

- سمعت أن هناك فتى جزائريا هنا! هل لي أن أعرف اسمه!.

- اسمه العباس وهو في فترة تدريب؛ ممنوع عليك معرفة أكثر من هذا.

- (ممسكا بكمّيه) أرجوك؛ أريد رؤيته.

ضربه الحارس بكعب البندقية فأسقطه أرضا وقال له :"إن أعدتها سأدخلك السجن أيها المشعوذ".. المشهد أمامي كأنني كنت هناك أرى بأم عيني؛ لو أنني كنت هناك حقيقةً لضربت ذالك الحارس حتى الموت.

***

-حنين - اسم على مسمى، حياتي كلها حنين لأشياء لن تعود؛ يقال أن المرء يأخذ نصيبا من اسمه وأظنني أخذته كاملا.

تركت أختاي في البيت وأخبرتهما أنني سأسافر للإسكندرية فلدي عمل هناك وسألتقي بصديقتي سناء، لم أرها منذ عام.. بيننا مدة ثلاث ساعات ولكنني لا أتحرك الا نادرا وهي لا تتحرك أصلا بسبب زوجها.. وصلت الإسكندرية بعد مشقة كبيرة دامت أربع ساعات فتوجهت مباشرة إلى المستشفى الرئيسي حيث زوجة أحمد هناك، أريد أن أراها أولا.. حالتها استقرت قليلا وستغادر المستشفى عما قريب هذا ما قاله الطبيب. جلست على الكرسي قربها، مضطجعة وعيناها تحملقان في السقف، تنحنحت كي أعلمها بوجودي فلم تتحرك فيها شعرة، هممت بالكلام لعلي أكسر حاجز الصمت فقلت :" سيدة مينا، كيف حالك".. أدارت رأسها ببطء اتجاهي كأنها زومبي في فيلم. ثم قالت

بصوت كئيب :"هل انتقم العباس لزوجي؟"، سؤال لم أتوقعه، من أين تعرف العباس؟ ومن قال لها أنه يريد الانتقام لزوجها؟، حيرني السؤال واحترت في اجابته؛ سأتملص منه وأغير الموضوع :

- أنا حنين صديقتك جئت لزيارتك، هل أنت بخير؟

- أعرفك.. أجيبي عن سؤالي أولا.

- لا أعلم ،أنا لم ألتقي بالعباس في حياتي.

- جيد ؛ يمكنك إكمال حديثك.

أراهن على أنها جُنّت! هل أغادر وأتركها! لا، سأسألها عن سؤالها :

- متى رأيتِ العباس ؟ هل زارك هنا؟

- قبل أيام فقط كان هنا ومعه ضابط وشخص غبي آخر.

- اممم جميل.

- لا تخوري كالبقرة وقولي لي :"كيف هي أحوال بلدتكم؟".

- هههه بخير.. زورينا بعد أن تستعيدي عافيتك.

- سأفعل إن شاء الله.

أدارت رأسها مجددا ببطء نحو الأعلى وراحت تحملق في السقف من جديد ولا تنطق ببنة شفة، كأن جنًّا سكنها!.. على كل حال فقد انتهت زيارتي، ودعتها

على أمل أن ترد علي فأومأت برأسها قليلا، ابتسمت في وجهها وأغلقت الباب من خلفي.. الآن علي الذهاب إلى منزل سناء، هم يغيرونه كل فترة بسبب أعداءهم الكُثُر، سأتصل بها لأسألها عن العنوان.. رن هاتفها لمدة ثلاث ثوانٍ ثم ردت على الاتصال :

- أهلا سناء.. كأن الهاتف موصول في دماغك هبه.

- هبهه كان موضوعا بجانبي.. المهم كيف هي أحوالك.

- بخير الحمد لله.. سمعت بكل ما تفعلانه وقلت أن أزورك في منزلك، أريد عنوانكما الجديد.

- في شارع (..) آخر منزل على اليمين.

- حسنا، ليس ببعيد عني.. ربع ساعة وأكون عندكم.

وصلت للعنوان في الموعد المحدد، بيت مبني بالطوب الأحمر كعادتهما، لا توجد صحافة ولا اعلام وكأن لا أحد يعرفهما! هذا مالم أستطع فهمه.. اقتربت من الباب وضربته برفق ليأتي الصوت من الجهة المرافقة قائلا :"من؟"؛ هذا صوت سناء! أجبتها ب "حنين" فانفتح الباب ليكشف عن وجه ملائكي لم يغير فيه الزمن شيئا.. طال عناقنا أمام الباب وفي الأخير قالت لي :" اشش؛ هناك ضيف عند زوجي.. دعينا نذهب للداخل"، هبه ضحكت من سذاجتها؛ كل ذالك العناق المرفق بالصراخ وإلى الأخير كي تقول هذا!.. جلسنا في الغرفة نتبادل أطراف الحديث :

- سمعت أنكم قبضتم على أمريكي.. ماذا فعلتم له؟

- أرسلناه عبر مواصلاتنا إلى الجزائر كي تتم عملية التبادل.

- جميل ؛أتمنى أن يمر الأمر على خير هذه المرة.. لم تخبريني من يكون الضيف هناك.

- إنه أحد أشهر الضباط في الجيش واسمه خالد.

- اااه ؛ هل هو هنا بسبب مهمتكم؟

- بل بسبب شيء أخطر وهو أسطورة الثولدن.. يشكان أن العباس هو الثولدن وهو المسؤول عن موت الضحايا.

- حتى أنا شككت مرة في الأمر.. لكن كيف سيتأكدان؟

- في العملية التي ستتم سينكشف كل شيء.

(في غرفة الضيوف)

- أنت تعلم أن لقاءاتنا سرية دائما؛ لو علمت الدولة بأمري سيعاقبونني بتهمة نشر معلومات سرية.

- هههه لا تقلق؛ أخبرني عن رفيقك باسم كيف هو؟

- استقال منذ زمن؛ الآن هو يعمل منفردا ولا أدري ماذا يفعل ولكني متأكد أنه سيحاول إنقاذ صديقه.

- ههه جيد.. هل نمضي الصفقة الآن أم إلى لقاء آخر؟

- لا تتغابى. أنت تعلم أن هذا هو ما أحضرني إلى هنا وأن قضية العباس ماهي إلا غطاء لترك الأمر سريا.

- حسنا.. (يخرج ساري ورقة عليها بنود) اقرأ البنود كلها وبعدها امضي على العقد.

"

الموضوع : بيع اختراع جديد.

- هذا ما اتفق عليه الضابط خالد ومنظمة البوراي :

- تشتري المنظمة الاختراع مع مخططه بقيمة مليون دولار.

- تتحمل المنظمة عبء نقله من المقر إلى المقر.

- على الطرفين الاحتفاظ بالسرية التامة وأي انتهاك من أي طرف يحمله خسارة ما عنده.

إمضاء رئيس المنظمة :

إمضاء الضابط :

"

حمل الضابط القلم وأمضى على الورقة فقام ساري بطبعها واعطاءه نسخة ثم غادر البيت على عجل.

-ساري : هذا اختراع يمكننا من الاتصال بالأشخاص المغلقين هواتفهم؛ لا أدري بمن استعان هذا الضابط لصنعه.. لكنه سيفيدنا في المستقبل.

***

اختفى المشهد وظهر آخر : هذا منزلي الذي تعرفونه ؛أنا جالس في غرفتي الآن أمام حاسوبي، لا أدري في أي سنة بالضبط لأن هذا المشهد كان روتينا يوميا في حياتي.. الصورة تقترب نحو الحاسوب الموضوع أمامي ليظهر متصفح pale moon وصفحتان مفتوحتان عليه، صفحة موقع العصابة وصفحة فيسبوك، إذاً فهذا الموقف قبل عام فقط.. أنا الآن في صفحة الفيسبوك أتواصل مع أحدهم ولم أكن مهتما به ،أذكر أنه أتى من مجموعة فلسفة مريض نفسي يريد التعرف علي أكثر وقد كنت أتحدث معه قليلا، أبحث عن أقصر الطرق لإنهاء الحديث.. كما توقعت، هذا المشهد هو الوقت الذي قال لي فيه :"لن يمسك أحد بسوء وأنا موجود"، استغربت حينها كيف لشخص عرفني توًّا أن يقول هذا الكلام!، بعدها سألته عن اسمه وأين يسكن فقال أنه من ولاية ورقلة واسم حسابه هو اسمه الحقيقي، بدر الدين ساري ،ماهي صلته بساري يا ترى؟ أم أن هذا لقب عندنا وعند السوريين اسم! ربما وربما.. الآن تذكرت أين رأيته! إنه الشخص الذي أنقذني في مطار ورقلة، كيف حصل هذا؟، تغير المشهد لمكان آخر في مدينة صحراوية تغطيها الرمال من جانبين، في أحد المنازل الكبيرة يجلس شاب في بدايات العشرين على سريره

واضعا يداه على رأسه ويفكر بعمق كأن مصيبة حلت به؛ أظنه من فئة العميقين، يظنون أن الحياة ستتوقف إذا حزنوا وعندما لا تفعل يقررون مغادرتها كعقاب لها، أحس أنه هكذا ،ألا ترون أنه يجرح يده محاولا الانتحار؟ فجأة ظهر أمامه رجل ملثم وملابسه سوداء كلها، ارتعب الشاب فانفتحت عيناه إلى أشدهما وراح يصرخ ويرمي الأشياء عليه لكنها لا تصيبه، كلها تمر من خلاله؛ هنا علم أنه يواجه شبحا أو شيطانا.. بصعوبة استطاع التقاط أنفاسه وإخراج كلمتين :"من أنت؟"؛ نزع الرجل الغطاء من على رأسه ليظهر وجه رجل عجوز طاعن في السن؛ أعرفه! أقسم أنني أعرفه! إن لم يكن هذا (هواري) فأنا فقدت عقلي؛ هاهو يتقدم ببطء نحو السرير الذي تركه الشاب قبل قليل ليجلس عليه ثم قال :

- تعال يا بدر الدين اجلس قربي، لن أؤذيك. (هذا الشاب هو بدر الدين).

- (خائفا) أستطيع سماعك من هنا.. قل ما تريد قوله.

انتقل هواري من مكانه إلى أمام النافذة ينظر إليها وقال :

- أنت تريد الانتحار بسبب المصائب التي حلت بك. لكن لا يمكنك هذا.

- من أنت لتقرر لي ماذا أفعل؟

- يقولون : ارمي نفسك في البحر وانظر، ستجد نفسك تقاوم الغرق كي تعيش؛ أنت لا تريد قتل نفسك بل تريد قتل شيء ما بداخلك.

- ما أدراك أنت؟ الجسد مادي يحب المادة فبالطبع سيقاوم ولكن الروح معنوية ان تعبت فلم تعد تأبه للمادة وستستغني عنها.

- أوليس كلاهما هو أنت؟ الروح لا تريد الفناء جزافا؛ تريد تضحية تريد شيئا تموت لأجله؛ هكذا كي يرضى الجسد عنها.. هناك وعد كنت قد قطعته لشخص ما؛ اذهب وأوفي به.

- أي وعد؟ لست أتذكر شيئا من هذا القبيل!.

- ألم تقل لفتى يدعى العباس أنك ستحميه من أي شيء؟ سيأتي غدا صباحا إلى مطار ورقلة.. اذهب إلى هناك فسيحتاجك.

(هذا يفسر سبب فدائه لي بحياته)

اختفى المشهد ليظهر آخر : في مخبأ سري تحت الأرض يتجول رجال هنا وهناك كل واحد يعمل عمله كأنهم في خلية نحل؛ وهناك فتاة من بينهم جميعا كأنها الملكة، تلقي الأوامر على هذا وذاك، أعرف هذه الفتاة! إنها (ابتسام)؟ إذاً فهذا مقر العصابة حيث يصنعون القنابل.. عجيب! زيهم لا يوحي بأنهم مخترعون . أتى أحد هؤلاء إلى عند ابتسام يسألها :"ماذا نضع ككلمة سر لإيقاف التفعيل؟". حكّت رأسها قليلا ثم أخذت ورقة موضوعة هناك على الطاولة وكتبت "Y. W. F. T. C. H. O. D" ، أعطتها للرجل وقالت :"ضع هذه الحروف وحافظ على ترتيبها"؛ بعدما رحل الرجل اقترب المشهد منها فسمعت ما كانت تتمتم به واضحا : "you'll find that clean heart one day".. انتقل المشهد إلى موقع آخر حيث هي على متن الطائرة تنظر باتجاهي حيث أنا جالس

وتكتب على يدها تلك الحروف، ليتني أرى نيتها ماهي؛ هل هي لمساعدتي أم لئلا تنساها؟.. سيبقى هذا المشهد معلقا في ذاكرتي.

اختفى وظهر آخر : حافلة من النوع المتوسط أنا جالس هناك في أحد مقاعدها وبجانبي فتاة صغيرة ذات شعر جميل ووجه أجمل بكثير؛ عرفت هذا الموقف عندما رأيتها، هذه -رسل- وأنا على متن الحافلة المتجهة للمطار.. اقترب المشهد ليظهر وجهانا واضحين وصوت كلامنا، أذكر أننا لم ننطق ببنة شفة حتى؟ ربما هذا ما كان يدور في ذهنينا حينها، كانت تنظر إلى وجهي وتتمعن في ملامحي وأنا أراها بطرف عيني لكني غير مبالٍ.. الأفكار تقال أمامي الآن وأستطيع سماعها، لم أعر سمعي لما كنت أفكر فيه لأني أعلمه وإنما ركزت على تفكير - رسل -، كانت تقول في نفسها :" هل هذا العباس بشحمه ولحمه؟ كيف سأكلمه؟ ربما يكون شخصا آخر!، إنه أجمل بكثير من الصورة التي رسمتها له في مخيلتي، ليته يعرفني.."... كل هذا التفكير وقابلتها بتجاهل! أنا خجل من نفسي الآن، ليتها على قيد الحياة كي أعتذر لها. قتلتها العصابة فهل انتقمت لها؟ لا، لم أنتقم ، لو انتقمت لما قتلوا عبد الجليل أيضاً!! صحيح، ماذا فعل أعضاء فلسفة مريض نفسي حتى يموتوا واحدا تلو الآخر!.

اختفى المشهد ليظهر آخر وآخر حتى علمت قصة الضحايا الخمسة عشر كلهم.. رأسي يكاد ينفجر من كمّ هذه المشاعر، متى يتوقف كل هذا؟ متى ينتهي هذا الظلام؟.. مهلا! لماذا لا أرى مشهدا عن جميلة! ألم تجمعني بها محادثات! أم أنها نستني!.

***

[4] أنا رئيس الشرطة سأحكي لكم ما حصل معنا في يوم المبادلة :

-ذهبت ومعي خمسة دوريات من الشرطة إلى الموقع المحدد؛ في المرة الماضية أخذت ذالك الفتى ولكنهم غيّروا موقع التبادل ؛حينها ظهرت مروحية كانت فوق الغيوم وقالوا أنهم من الاستخبارات، في تلك المدة كانت القضية تحت اشرافهم أما الآن فأوكلت إلي أنا؛ يعني سأتحمل كامل المسؤولية.. عبرنا الطريق المعبّد مسافة 200 كلم ثم استدرنا يساراً لنقطع الخمسين المتبقية في الرمال، العجيب أن في تلك الخمسين وجدنا آثار سيارات، حتى الصحافة لم يسمح لها بالعبور فلمن تعود هذه الآثار؟ هناك من سبقنا إلى الموقع بكل تأكيد.. هذه المرة الثانية التي أرى فيها هذه الصحاري، لم أظن يوما أننا نمتلك مساحات خالية بهذا الحجم. وأنا أقود السيارة انتابني شعور أن شيئا ما يسير بجانبها، التفتّ لأرى فلم أجد شيئا!، ربما بسبب التوتر لا غير، على كل حال فلا مجال للإخفاق هذه المرة.. وصلنا للموقع قبل ربع ساعة من الموعد المحدد؛ قالوا أننا سنجد الرهينة هنا قبل موعد التسليم لكننا لا نرى شيئا! هل تم خداعنا مجددا! تبقت ثلاثة دقائق وإذ بسيارات تظهر في الأفق، سيارات كأنها صنعت لهذه الفيافي؛ أوشكوا على الوصول ونحن بلا رهينة نبادلها!؛ لن يترددوا في قتل العباس على هذا المنوال، أمرت أحد الجنود بنزع ملابس الشرطة وألبسناه زيًّا مثل زي ذاك الرجل في الفيديو، لكن مُقطَّعة قليلا كأنه عانى أشد أنواع التعذيب؛ الحمد لله أني حسبت حسابا لكل شيء وأحضرت هذه الملابس، وضعت على رأسه قماشا أسودا حتى لا يرى وجهه،

[4] لا تنسوا مقدمة الجزء الأول : (.. تحوي كمية كبيرة من الأخطاء العلمية..)

سنبادله بالعباس وعندما يصبح بين أيدينا سنتكفل بالحرب التي ستقوم.. خمسة سيارات قادمة نحونا؛ أربعة على صف واحد والخامسة تتقدمهم، استغربنا من شيء واحد وهو أن الأربعة تلك توقفت والخامسة لازالت تتقدم؛ هل هذا احتياط منهم كي لا يُقبض عليهم؟؛ فجأة أخرج أحد الرجال رأسه من النافذة وأطلق النار على الرجل الذي ألبسناه، حسبت احتمالا لكل شيء إلا هذا، أن تكون الرهينة التي بين يدينا غير مهمة لهم. ما إن سقط رجلنا حتى اتخذنا وضعية الهجوم، ألهذا توقفت السيارات الأخرى بعيدا؟ كي يتسنى لهم الهرب إذًا!، إنهم يستخفون بنا كثيرا، رفعت قبضتي للأعلى وإبهامي شامخ كإشارة نستعملها بيننا وتعني أن يستعد أصحاب القناصات، أنزلت يدي فانطلقت الرصاصات تخترق إطار عجلات سياراتهم.. تستخفون بنا أليس كذلك! انتابهم الرعب عندما أبت سياراتهم التحرك فقد غاصت عجلاتها في الرمال، فتحوا الأبواب مسرعين هاربين في (الرف) القاحل. أغبياء! واضح أنهم لم يشتبكوا مع الشرطة في حياتهم، سنريكم جزاء قتل أحد رفاقنا.. كانوا يلهثون جريا ويطلقون بعض الرصاصات جزافاً لعلها تصيب أحدنا، لم نشأ قتلهم فاصطدناهم أحياءً كالعصافير، كنا نطلق على أيديهم وأقدامهم كي يعجزوا عن الهرب؛ في الأخير فتشناهم جميعهم ولم نجد من يوحي مظهره بأنه القائد.. أوصلنا هذه الأخبار إلى الدولة العليا وانتظرنا الأوامر القادمة. لمدة ساعتين ونحن نستجوبهم لعلنا نصل إلى معلومات تفيدنا، في البداية أَبَوْا ولكنا عندما مارسنا عليهم أنواع التعذيب اعترف أحدهم بأن العباس سيقتلونه في حالة ما فشلت الخطة، نحن لم نترك منهم أحدا فكيف سيعلمون أنها فشلت أم لا! ؛ هذا الرجل هو الوحيد الذي انطلق

لسانه بكلام مفيد ولكنه مات من شدة التعذيب قبل أن أسأله هذا السؤال، يستحقون هذا وأكثر، هذا جزاء كل قاطع طريق يهدد أمن البلد.

***

شاهين : في ذات اليوم كلمني ساري وأنفاسه تكاد تنقطع فقال :

-انتظر انتظر.. لا ترسل الرهينة إلى موقع التسليم.

- لماذا؟ ألم نحكم خطتنا؟

- لا؛ غفلنا عن شيء مهم وهو مكانة عادل بالنسبة لهم.

- كلانا نعلم أنهم كانوا يتلقون الأوامر منه؛ أليست أمريكا وراءهم؟

- بالطبع. لست أتحدث عن هذا وإنما عن إمكانية تخلصهم من عادل.. هناك احتمال أن يقتلوه ولن يعلم بهم أحد؛ يعني لو ذهبنا به إلى موقع التبادل سيطلقون عليه وهو بين أيدينا.

- إذًا ماذا سنفعل؟ هل نذهب بدونه؟

- لا.. دع الشرطة تذهب ،لن نعطهم ذالك الأمريكي، سيتدبرون أمرهم بحيلة ما، ان أعادوا العباس فسنربح مرتين وان لم يعيدوه فسنعرف ماذا حصل ونضع خطتنا حسب ذالك.

سأصارحكم بشيء – أنا شاهين – رغم تخطيطي الكبير ولكن ساري يسبقني بخطوة دائما، يضع احتمالا لكل شيء، لكل صغيرة وكبيرة؛ من الجيد أنه معي

في نفس الفريق.. عندما دقت ساعة التبادل كان بعض من جنودي بعيدين عن المكان بمقدار الكيلومتر يراقبون ماذا سيحصل، وصلت الشرطة إلى الموقع وكانوا ينظرون في جميع الاتجاهات بمناظيرهم لعلهم يجدون أحدا، لحسن الحظ لدينا ملابس تمويه متطورة، هاهم رجال الارهاب قادمون من بعيد، في نفس اللحظة دخل شرطي الى داخل المركبة وغير ملابسه ليصبح كأنه الأمريكي في تسجيل ساري.. من بعيد أطلق أحدهم النار على هذا الشرطي مما جعل الشرطة تفقد أعصابها - لم تتصور أنهم لن يجروا عملية التبادل - فقامت تطلق النار على سياراتهم اولا ثم اصطادوهم واحدا واحدا.

وصلتني هذه المعلومات بعد دقائق من الحادثة وصدق تخمين ساري، الأمريكي لا يعني لهم شيئا؛ ليس سوى عقبة يريدون التخلص منها.. اتصلت بساري على وجه السرعة فقال في ملل - كأن الأمور تحت سيطرته - :

- الآن هم يظنون أن الأمريكي قد مات وعلينا نفي هذا الخبر.

- واجبارهم على قبول المبادلة في نفس الوقت.

- يعجبني تفكيرك.. لدي خطة أخرى.

- هههه لدي سؤال لك يا ساري.. أليست وظيفتك في المنظمة هي تحديد المواقع! فأنى لك هذه الموهبة في وضع الخطط؟

- لستُ ڤولدن فلا تقلق.. تعلمت هذه الأشياء منذ صغري بسبب حبي لها.

- هههه قرأت أفكاري.. حسنا الآن ؛ سأنتظر ماذا ستفعل.

- هذا آخر اتصال لي معك حاليا.. عندما ننتهي من كل هذا سأدعوك على عشاء عندي في مصر.. إلى اللقاء.

- (قطع الاتصال).. بما أنه قال آخر اتصال فإن خطته القادمة ستكون واضحة دون أية مراوغات.

بعد ساعتين من الانتظار وأنا أتصفح الفيسبوك وجالس قرب التلفاز في أحد محطات الوقود أنتظر خبرا وإذ بفيديو يغزو القنوات، كل القنوات تعرضه في وقت واحد ، لا شك قد تم (تهكيرها) فهذا لا يحدث حتى بالصدفة، فيديو لرجل يضع قناعا وعليه شعار منظمتنا ووراءه الأمريكي ذاك ولكن هذه المرة بدون قناع، هذه جرأة كبيرة من ساري، أتمنى أن لا يذكر هذا الرجل أمريكا في كلامه كي لا يذهب جهدنا عبثا.. نسيت أن ساري ليس غبيا وأن هذه المرة سيكون فيديو مباشر بدون ألاعيب.. بنبرة خشنة يقول :

" أطلقتم النار على الرهينة إذاً! تريدون قتله دون علم أسيادكم! هاهو خلفي ولازال حيا.. لديكم نصف ساعة لتأتوا بالعباس سالماً إلى الموقع المحدد.. خط طول 6 درجات وخط عرض 30 درجة.. "

هذا التسجيل أثار فيّ تساؤل : الأمريكي ذاك تركته في مخبئنا وهذا الرجل الظاهر في التسجيل هو أحد رجالي؛ لماذا لم يطلب ساري مني أن أسجله بنفسي؟ هل هو لا يثق فيّ؟.

هذا ليس وقت الظن والتخيلات؛ الموقع الذي ذكره أعرفه جيدا وهو قريب منا حاليا وليس ببعيد عن موقع التبادل القديم - ربع ساعة بسرعة 200 كلم

في الساعة وسأصل -، تعمد ذكر الموقع باستعمال الاحداثيات كي لا تحدث فوضى من الشعب مثل كل مرة؛ وجعله قريبا مني كي أجهز نفسي جيدا.. جمعت الرجال وأخذنا الرهينة معنا وانطلقنا؛ هذه آخر عملية لي هنا في الصحراء، سآخذ بعدها راحة طويلة الأمد.

- يقول ساري :" قلت من قبل أن ذاك هو تسجيلي الأخير ولن أعيد الكرة ولكن هذه المرة احتجت إليه فأرسلت لأحد الجنود هناك وأمليت عليه الخطاب فحفظه وبعد أن أرسل لي التسجيل قمت ببثه في جميع القنوات ".

- وصلنا الموقع باكرا جدا فتموضع رجالي على شكل دائرة كبيرة كي نحصرهم وسطها، كلهم ببزات تمويه الا أنا وأربعة رجال معي وقفنا في وسطها لإجراء عملية التبادل.. الجو هادئ وقليل من النسيم يصفع الوجوه ونحن هنا ننتظر قدومهم بفارغ الصبر.

***

اختفى المشهد وظهر آخر : هذا طفل رضيع خرج قبل دقائق من بطن أمه، ضجيج المستشفى وصراخه هو، أكره هذه الأصوات وأنا الآن أسمعها وأشاهدها، انتقل المشهد إلى أمه القابعة على السرير، هذه أمي أنا!! يعني هذا الرضيع هو أنا! لم أنتبه لهذا التشوه على وجهه، كيف فاتني هذا!.. انتقل المشهد مجددا إلى بيتنا، لم يتغير كثيرا طيلة هذه الخمسة عشر سنة ، هناك على السرير تجلس أمي وبجانبها أنا داخل تلك الربع كرة المصنوعة من الحديد، أصيح أغلب الأوقات وهذا أثار ضيق والدتي، لأن أخي وأختي لم يكونا

مثلي، لم يبكيا كثيرا ولم يخلقا مشوهَين كأنا.. هذا أبي أتى وجلس بجانبها وراحا يتبادلان الكلام :

- ماذا سنفعل مع هذا الطفل؟ هل نصبر ونحتسب أجرنا عند الله.

- هذا ما سنفعله.. ان شاء الله الطفل القادم سيكون أجملا.

هذا من أكثر المشاهد التي أثرت فيَّ؛ منذ أن خُلقت وأنا منبوذ حتى من طرف والدي! هل لازالا يريانني شخصا ناقصا أم تغيرت نظرتهما تجاهي؟ هل عرضت حياتي للخطر لأجل شخصين لا يستحقان؟ هل كان علي تركهما يلقيان مصيرهما؟.. في وسط تفكيري سمعت صوتا يقول :"كلّا". اختفت هذه المشاهد وعمَّ الظلام المكان وظهرت أشباح بيضاء لشباب وأطفال، ذكور وإناث، قرابة الخمسين شبحا يحيطون بي على شكل دائرة، منهم الواقف ومنهم الجالس، كلهم مبتسمون ويضحكون بطريقة مستفزة، أنا في وسط بؤسي وهم يضحكون!، سألتهم :"من أنتم؟" فلم أتلقى جوابا، جربت النظر إليهم فرادى فعلمت شيئا ، بعضهم رأيته في تلك المشاهد مع الضحايا، كانوا ينزعون ألمهم أو ما شابه، ضحكتهم حقا لها تأثير جميل لو كنت في مزاج لا بأس به.. سألتهم شيئا آخر وهو :"أين أنا الآن؟"، قال أحدهم وهو شاب يقارب الخامسة والعشرين إن لم يكذب حدسي فهو أكبرهم :" أنت في داخلك، أنت في الجانب المظلم منك، أنت حيث لا مفر لك إلا الموت"، أرعبتني هذه الكلمات؛ كيف تنقلب تلك الأشباح اللطيفة إلى قاسية؟.. جربت اعتباطا في اتجاه لأن الظلام يفقدك الشعور إلى أين تتجه؛ مررت بينهم وخرجت من تلك الدائرة وعندما توقفت وجدت نفسي لازلت وسطها وأنهم يحيطون بي، كيف

هذا!! أعدت المحاولة مرارا وتكرارا وكانت النتيجة نفسها، مالحل؟، جلست على الأرض وأفرغت بالي من كل شيء يشغله ورحت أتذكر الأيام الجميلة التي عشتها ؛ يوم لم يأت فيه الأساتذة فلم ندرس، يوم زارنا فيه عمي وخالتي فاجتمعنا على مائدة الطعام، يوم مرض فيه زعيم الفتية المشاغبين ولم يحضر للمدرسة فتمنيت موته، يوم.. "استسلم وانضم إلينا" هذا الصوت قادم من خلفي وهو لفتاة، التفت سريعا فرأيت وجها مألوفا، وجها صادفته من قبل لكني لست أتذكره جيدا ؛ تجاهلت الأمر وعدت إلى تفكيري ولكن هذه المرة لم يتركوني وشأني، كانوا يقولون بصوت واحد :"ستنضم إلينا لا محالة" صراخهم مزعج، تجاهلتهم بادئ الأمر لكن هذا أغضبهم وجعل عيونهم تصبح حمراء اللون وأصواتهم تزداد حدة كاحتكاك الحديد ببعضه، وضعت يداي على أذني ولكن دون فائدة كأن حاسة السمع تغير موضعها وأصبحت من كامل جسدي.. لا أتحمل كل هذا فقررت الخروج عن صمتي والحوار معهم فقلت :" سأنضم إليكم بالطبع، لكن أريد معرفة من أنتم أولا"، صمتوا قليلا ثم قال أكبرهم ذاك وهو ينظر خلفه:" لقد أتى الوافد الجديد، أفسحوا له الطريق".. انفتح ثقب في تلك الدائرة بسبب ابتعادهم وظهر هناك في الظلام ظلام أقوى منه وخرج من خلاله شبح لشخص أعرفه، رأيته كثيرا في تلك المقاطع، هذا الڤولدن الثاني المسمى يحيى؛ هل هؤلاء هم...؟ نظرت خلفي مجددا إلى وجه تلك الفتاة؛ الآن تذكرت أين رأيتها، هذه لبنى زوجة خالي!.. بالكاد استطعت إخراج كلمة فقلت :"أنتم أشباح الڤولدن على مرِّ العقود!"، تغيرت ملامحهم جميعهم حتى يحيى أراه حزينا رغم

لامبالاته الدائمة. قالت طفلة :"هذا قدرنا ونحن راضون به" ،ثم قال فتى :" سيكون مصيرك مثلنا، ما دمت دخلت هنا فلا مهرب لك".

***

يهددونني بعادل ؟ هل قبضوا عليه حقا؟ قبل ساعتين فقط كان يكلمني فماذا حصل؟.. أخذت الهاتف ورحت أتصل به فردّ على الاتصال مباشرة، إذًا فهي خدعة لا غير! أتى الصوت من الجهة المقابلة يقول :" تخالنا نخدعك!! إن لم تحضر العباس سنكشف زعيمك هذا للعالم"، لم أستطع النطق بكلمة فقد قطع الاتصال بعد هذه الجملة، رحت أفكر في خطة ما، لا أريد تسليم الفتى ولا أريد لأسراري أن تنكشف ،هناك فكرة جيدة وهي قتله، لماذا لا أقتل عادل دون أن تعلم أمريكا! سيظنون أن الشرطة قتلته؛ ما داموا تركوا المبادلة تحت مسؤوليتها فسيكون الأمر سهلا.. قلت لأحد الرجال أن تستعد خمس سيارات للذهاب هناك وقتل عادل دون إجراء المبادلة، أمرت أحد الرجال بمراقبتهم من بعيد لمعرفة اذا ما نجحت الخطة أم لا، بعد ساعة عاد وقال لي أن رجالنا قبض عليهم جميعا ولكن الرصاصة اخترقت قلب عادل ولا شك أنه مات، هذا خبر مفرح ويمكننا الآن التصرف في العباس كما نشاء، سأجري عليه أنواع التجارب كي يعود لوعيه أولا ثم سأستجوبه.

بعد ساعتين رأينا تسجيلا جديدا مفاده أن عادل لازال حيا ويريدون تبديله بالفتى حالا، لم يدم فرحنا كثيرا ليسقط علينا هذا الخبر المشؤوم كالصاعقة، علي إعادة التخطيط إذاً.. ناديت أكفأ رجل أعرفه لأشاوره؛ هل أُرسل رجالي ومعهم العباس أم أذهب أنا بنفسي؟ فقال :

-لو أرسلت رجالا واستعدت عادل فسيتهمك بالتنقيص من قيمته؛ أما لو ذهبت بنفسك فسيقول أن محاولتنا لقتله كانت مجرد كذبة اختلقها خاطفوه.

- أنت ذكي، كلامك صواب.

قررت الذهاب مع رجالي لأشرف على العملية بنفسي؛ عندما نأخذ عادل سنقتلهم جميعهم.

حددنا احداثيات الموقع ورحت إليه بجميع رجالي؛ خمسة عشر سيارة وستون رجلا؛ لن تكون لهم فرصة أمامنا.

عندما وصلنا لمكان التبادل وجدنا ستة رجال فقط من بينهم عادل مغطى الرأس؛ ارتفعت معنويات الرجال، فهذا العدد سنمحوه في طرفة عين.

***

شاهين :

هاهم الرجال قادمون؛ من الجيد أنهم عرفوا الموقع، لاشك أن لديهم جهازا مضبوطا لتحديد المواقع.. على كل فعددهم كبير هذه المرة وستطول مهمتنا؛ سنعطي الأهمية القصوى لحماية العباس، المنظمة أمرتنا بالقضاء على العصابة ولكن تغيرت الظروف الآن؛ أريد التأكد من الثولدن وبعدها لكل حادث حديث..

وصل الرجال إلينا ودخلوا تلك الدائرة الكبيرة التي أعددناها لهم؛ نزلوا من سياراتهم واحدا واحدا واصطفوا صفوفا ثم تقدمهم زعيمهم ومعه العباس مغطى الرأس.. آثرت أنا بدء الكلام فقلت :

- أتيتم في الموعد لحسن حظكم..

- نحن لا نتأخر عن مواعيدنا.. كيف نتأكد أن هذا هو عادل؟

- نفس السؤال موجه لكم.. أقترح أن ننزع قناعيهما في نفس الوقت.

- سأدير وجهه باتجاهكم كي ترونه؛ هذا يناسبني أكثر.

نزعت قناع عادل ليظهر وجهه المليء باللكمات؛ ساري قد تكفل بمظهره جيدا. من جهة أخرى نزع قائدهم الغطاء من على وجه العباس وهو يتحاشى النظر إليه، رأيت العباس من قبل على الفيسبوك وأعلم أنه هو بشحمه ولحمه ولكن هناك شيء غريب بشأنه فعيناه مفتوحتان ومقلتاه لا تتحركان ثم ما هذا البرود الذي يحيط به! لا بأس، عندما ننقذه سنعرف كل شيء.. بعد أن تم هذا تبقت الخطوة الأخيرة وهي تسليم الرهائن، قلت بثقة :

-بعد أن تأكدنا فلنمرر الرهينتين في وقت واحد.

المهم أن يرى قائدهم ملامحه وستكون خطتنا قد نجحت، بعد أن وصل العباس إلى أيدينا ووصل الأمريكي إلى أيديهم أدرت وجه العباس في اتجاهه فجأة؛ نظرة واحدة من العين كفيلة بحفظ تفاصيل الوجه، ارتعب لأنه لم

يتصور ردة فعلي هذه، تبقى الآن لنرى ماذا سيحدث له! إن مات فلن نترك العباس حيا.

***

حاولت الحصول على اجابات لأسئلتي لكنهم يتهربون من الإجابة دائما؛ ترجيت شبح زوجة خالي لكنها غير مبالية بي وكأني لا أتحدث أصلا ، في المقابل هم يحكون لي قصصا لا طائل منها؛ قصصا مملة حصلت معهم ،ليس هذا وقت الاستماع لها.. عندما رأوا ضجري من كلامهم غضبوا مجددا واحمرت عيونهم ولكن هذه المرة تطورت أفعالهم إلى ضربي على رأسي، أشباح وأحس بألم ضربهم لي! ، بقوا هكذا مدة وأنا في وسطهم أضع يداي على رأسي وأبكي، أبكي! هذا ما كان يحصل معي سابقا ،هذه المرة أشباح أشد إرعابا من أولئك الفتية.. سمعت صوتا من وسط صراخهم- كأنه نوع من التخاطر العقلي - ، صوتا عذبا لفتاة يقول :" أنقذ نفسك يا عباس؛ هؤلاء يريدون منك اللحاق بهم ومواجهة نفس المصير"؛ بما أنه تخاطر فيكفيني أن أتكلم بصوت داخلي

- من أنت؟ وكيف السبيل للخروج؟.

- أغمض عينيك وفكر في مخرج.. قد دخلت إلى هنا عندما غصت في الظلام لمدة.. هذا داخلك وأنت المتحكم فيه.

حسنا، سأطبق ما قالته لي. أغمضت عيناي ورحت أفكر في مخرج.. الظلام ضده النور ومن يفكر في النور فهو فيه؛ علي التفكير في النور. صفاء الذهن، الرضا بالقدر، الصبر، كلها أشياء تجدها في النور فقط، فلأتمسك بها إذًا..

ألم ضرباتهم يختفي شيئا فشيئا وحتى بياضهم يختفي، الظلام يختفي أيضاً والنور يأخذ مكانه.. فجأة وجدت نفسي أنظر لمجموعة كبيرة من الرجال وسط رقٍ قاحل وفي بالي فكرة لم أعلم من وضعها برأسي وهي أن هذا القائد الذي تبدو عليه آثار الدهشة يعلم بشأني وقد رأى وجهي؛ هذا صحيح فأنا أرى جميع الوحوش تحيطه وعلى وشك الظفر به.. ماذا أفعل؟ هذا سيكون القربان الأخير ، هنا تذكرت كلام هواري عن الاختبار، قال أنه سيبدأ عندما أريد، الارادة هي مفتاحه والآن أنا على أتم الاستعداد له. أغمضت عيناي فلم أرى الرجل وهو يرفع مسدسه يريد الاطلاق علي، يريد الضغط على الزناد ولكن لم يكفه الوقت لمنعي فعندما فتحتهما وجدت الظلام حل والموجودات اختفت من حولي، لا رجال ولا مسدسات ولا صحراء، فقط ظلام على مد البصر. هل رأيت في حياتك ظلاما على مد بصرك؟ جملة غريبة صحيح! لكنني الان في وسطها ومن بعيد رأيت نارا كبيرة ثم سمعت صوتا لم أدري اتجاهه، كأنه قادم من جميع النواحي، صوتا غليظا مختلفا عن صوت الوحوش يقول

" أيها الفاني، أنت في حضرة النار الحارقة وقد بدأ اختبارك النهائي"